قاعدة جامعة

في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

تقديم وتحقيق

الدكتور عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري

الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

kutub-pdf.net

kutub-pdf.net

قاعدة جامعة

في توحيد الله والإخلاص لوجهه والعمل له عبادة واستعانة

kutub-pdf.net

ⓒ دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم
قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة / تحقيق عبد الله محمد البصيري ـــ الرياض.
١١٢ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٦ ـــ ٥٧ ـــ ٧٤٩ ـــ ٩٩٦٠
١ ـــ التوحيد أ ـــ البصيري، عبد الله محمد (محقق) ب ـــ العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٨/٠٦٢٢

رقم الإيداع: ١٨/٠٦٢٢
ردمك: ٦ ـــ ٥٧ ـــ ٧٤٩ ـــ ٩٩٦٠

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبعَة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص.ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

kutub-pdf.net

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن عقيدة التوحيد وهي عبادة الله وحده لا شريك له هي العقيدة التي أَرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت...﴾ [النحل/ ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء/ ٢٥]. وعقيدة التوحيد هي الغاية التي خلق الله من أجلها الخلق كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات/ ٥٦]. وقد أمر الله سبحانه رسوله محمداً بعبادته وحده لاشريك له وإخلاص العبادة له كما قال تعالى: ﴿إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين، ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر/ ٢ ـ ٣]. وقال تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ [الزمر/ ١١]. ثم أمر الله رسوله محمداً ـ كما أمر سائر الأنبياء من قبله ـ بدعاء الناس إلى عبادة الله وحده وإخلاص العمل له، ونبذ الشرك والخلوص منه، كما قال تعالى: ﴿هو الحي لا إله إلا هو

kutub-pdf.net

فادعوه مخلصين له الدين. الحمد لله رب العالمين﴾ [غافر/ ٦٥]. وقال تعالى: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾ [غافر/ ١٤]. وقال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة/ ٥]. فقام رسول الله ﷺ بما أمر به، وقام بتبليغ دعوته وأداء رسالته ودعاء الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، ولاقى ﷺ في سبيل دعوته ما لاقى من الأذى والعنت والعناء والمكابدة من قومه ولكنه عليه الصلاة والسلام صبر وصابر فأيده الله بنصر من عنده وأيده بأصحاب آزروه وناصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فنصره الله وأعزه وأظهره كما قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [الصف/ ٩]. فبلَّغَ ﷺ رسالة ربه، وأَدَّى أَمانته، ونصحَ لأُمته، وبالغ في حماية جانب التوحيد، وتخليصه من وسائل الشرك وشوائبه، فترك صحابته الكرام على عقيدة صافية خالصة لا تشوبها شائبة من شوائب الشرك، بل تركهم كما قال ﷺ: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[1]، وبعد وفاته ﷺ حمل صحابته الكرام رضي الله عنهم مشعل الخير والنور وقاموا بأمر الدعوة إلى الله وحده لا شريك له، ففتح الله على أيديهم البلاد والقلوب، ونشروا العقيدة الإسلامية في أرجاء المعمورة في فترة وجيزة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، لكن طوائف الكفر والضلال من أعداء الإسلام لم يرضهم الحال

(١) رواه ابن ماجه (٤٦) عن العرباض بن سارية، وذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١).

kutub-pdf.net

فأخذوا يكيدون للإسلام ويخططون لهدمه والقضاء عليه، فظهر الكثير من المؤامرات، فقتل أمير المؤمنين ـ عمر رضي الله عنه ـ، ثم قُتِلَ عثمان ـ رضي الله عنه ـ، ثم خرجَ الخوارج على علي ـ رضي الله عنه ـ، ثم ظهر التشيع، ثم الرفض، ثم ظهرت القدرية، ثم الإرجاء والتجهم، ثم الاعتزال، ثم الأشاعرة، ثم ظهر التصوف وفرق الباطنية من القرامطة والنصيرية والملاحدة وغيرها من فرق الضلال، ثم ظهر من بعد ذلك ما يعكر صفو توحيد العبادة فظهر التوسل بالصالحين ودعائهم وندائهم عند الشدائد، والتبرك بقبورهم والنذر لها والذبح لها والسفر إليها، وغير ذلك من أنواع الشرك ووسائله، لكن من نعم الله على هذا الدين أن أتمه وأكمله، ثم تكفل بحفظه ونصره إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون﴾ [الحجر/ ٩]. وقال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كله ولو كره المشركون﴾ [الصف/ ٩]. وقال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[1]، فعلى مر العصور والأيام يهيء الله لهذا الدِّين وهذه العقيدة أئمة علماء أعلام يقومون بنصر العقيدة ونشرها والدفاع عنها، ورد كيد الكائدين وعبث المفسدين عنها، ومن هؤلاء الأئمة والعلماء الأعلام: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني، الدمشقي، الحنبلي، الذي عاش في الفترة من ٦٦١ ـ ٧٢٨ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، فقد

(١) رواه مسلم (١٩٢٠)، عن ثوبان رضي الله عنه.

kutub-pdf.net

تصدى لـلانتصار لعقيدة السلف أهل السنـة والجماعة، وهـي المبنية على كتاب الله وسنـة نبيه ﷺ، فقـام عليه رحمـة الله منتصراً للحـق ومدافعـاً عنه وناشراً له، قام رحمه الله بلسانه وقلمه وسنانه في وجه أعداء الإسلام، وبالغ في الرد على فـرق الأشاعرة والمعتزلـة والجهمية، وصدع بالحـق في وجوه الرافضة والصـوفية والباطنية من النصيـرية والإسماعيلية والاتحـادية وسائر المـلاحدة وفـرق الضـلال، ولـه رحمه الله معهـم صـولات وجولات، وقـد كشف رحمه الله ضلالهم وأبان عوارهـم وهتك أستارهم، كما قام رحمه الله بالـدعوة إلى الجهـاد في سبيل الله وشارك مـع المسلمين في حربهـم ضد التتـار، وأظهر رحمـه الله شجاعـة فائقـة وبطـولة نـادرة وكانـت له مـواقف مشهودة وجهـود محمودة، وقـد أكثر رحمـه الله التأليف حتـى قال الـذهبي رحمه الله: «لا أبعد أن تكون مؤلفـاته خمس مائة مجلدة»[1] قلت: وأغلبها في العقيـدة بياناً وإيضـاحاً للعقيدة السلفيـة ورداً، على خصومهـا، وقد أوذي رحمه الله بسبب جـرأته وشجاعتـه وصدعه بـالحق ووقوفـه أمام أهل الباطـل، وقد أخـرج من بلده دمشـق، ثم تعرض للسجـن مراراً حتى مـات مسجوناً بقلعة دمشـق، ومع هذا لم يثن عزمه ولم يفت في عضـده ولم يؤثر في نشاطه، بل زاده قوة ونشاطاً ورغبـة في تصحيح العقيدة وبيانها والدفاع عنهـا، وقد هيـأ الله سبحانـه وتعالـى له تـلاميـذ مخلصين[2] أخذوا علمـه

---

(١) العقود الدرية، ص٢٥.

(٢) منهم العلامة المحقـق شمس الدين ابن القيم الذي سار على نهـج شيخه في نصرة العقيدة بيانـاً وإيضاحاً ودفاعاً، وترك رحمـه الله مؤلفاتٍ نافعة نفـع الله بها، وقد طبع =

kutub-pdf.net

ونشروه وحافظوا على ما أمكنهم من كتبه، وإن كان بعضها أحرق وأتلف من قبل خصومه، ولكن الله برحمته ومنته قد تكفل بحفظ هذا الدِّين وظهوره ونصر أنصاره فظهر الكثير منها بعد وفاة الشيخ رحمه الله، وانتفع المسلمون بها وما يزال المسلمون ينتفعون بها إلى يومنا هذا ولله الحمد، فقد طُبِعَ منها ـ فيما أَعلم ـ ما يزيد على سبعين مجلداً، وما يزال البعض مخطوطاً والبعض مفقوداً.

أَسأَل الله أن يهيء الأَسباب لإخراجها وظهورها حتى يعم النفع بها، فقد آتى الله مؤلفها علماً وفقهاً وبياناً قلّما يوجد في غيره، وكان رحمه الله معتمداً فيما يكتب على كتاب الله وسنة رسوله، فسدده الله في أقواله ورزقه الصواب في آرائه، ولا ندّعي فيه العصمة ولكنها نعمة الله يمن بها على من يشاء من عباده: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

وقد رزقه الله بعد وفاته الذكر الحسن والثناء الجميل والدعاء، ولايزال ذكره الحسن والثناء عليه والدعاء له إلى يومنا هذا، وهذا من علامات الخير والفلاح، رحمه الله وأَسكنه فسيح جناته.

هذا ومن نعم الله سبحانه وتعالى عليَّ أن منَّ عليَّ بالحصول على

= ولله الحمد أكثرها وإن كان بعضها لا يزال مخطوطاً، ومنهم العلامة المحقق محمد ابن أحمد بن عبدالهادي، والعلامة المفسر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، وغيرهم ممن يصعب استقصاؤهم في هذه المقدمة الموجزة، رحمهم الله وجزاهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

kutub-pdf.net

نسختين خطيتين لرسالة من رسائل هذا الإمام الجليل شيخ الإسلام رحمه الله في العقيدة عنوانها: «قاعدة في توحيد الله وإخلاص العمل والوجه له عبادة واستعانة».

ولما كان توحيد العبادة هو أصل الإسلام وقاعدته وهو أصل دعوة جميع الرسل ـ كما ذكرت في أول المقدمة ـ ولأن هذه الرسالة القيِّمة بيانٌ لهذا التوحيد ودعوة إليه، ولمكانة مؤلفها شيخ الإسلام ابن تيمية ومنزلته العلمية العالية؛ فقد عزمت على تحقيقها وإخراجها ونشرها مساهمة في نشر عقيدة السلف وإحياء التراث السلفي القيم، هذا ولا أخفي قصور باعي وقلة بضاعتي في هذا الميدان، لكني اجتهدت وبذلت وسعي، فما كان فيه من صواب فمن ربي وله الحمد والشكر، وما كان فيه من قصور وخطأ فمني، وأَسأل الله التوفيق والسداد وأَسأله أن يلهمني الرشد والصواب.

هذا ولم أُترجم لشيخ الإسلام رحمه الله وغفر له؛ نظراً لشهرته ومكانته المعروفة فقد ترجم له الكثير وكُتبت عنه دراسات كثيرة بلغت مجلدات، ولعلي في هذه المقدمة قد أَلمحت إلى شيء من جهوده وآثاره رحمه الله وأَسكنه فسيح جناته.

وفي الختام أَشكر الله سبحانه وتعالى الذي منّ علي بخدمة هذه العقيدة ونشرها، وأَسأله سبحانه أَن يجعل عملي هذا وكل أَعمالي خالصة لوجهه الكريم، وأَسأله أن ينفع به إنه سميع عليم.

kutub-pdf.net

ثم أَشكر الأَخ ماجد بن عبدالله السعيد الذي ساعدني في نسخ مخطوطة الأَصل وقام بطباعة «مقدمتي للرسالة» على الكمبيوتر، فجزاه الله خيراً وبارك فيه.

كما أَشكر الأَخ الفاضل الزميل الدكتور صالح بن محمد العقيل، الذي أخبرني بوجود النسخة الخطية الثانية في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإِسلامية فجزاه الله خيراً.

كما أَشكر أَخي عبدالرحمن بن محمد البصيري حفظه الله، الذي لايألو جهداً ولا يدخِّر وسعاً في مساعدتي، أَسأل الله أن يعظم له الأَجر والثواب.

وأَشكر ابني محمداً أَصلحه الله وهداه، الذي ساعدني في المقابلة والتصحيح وقام بطباعة هذه الرسالة على الكمبيوتر، فللجميع الشكر والثناء.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أَجمعين.

عبدالله بن محمد بن سليمان البصيري
المدينة النبوية
كلية الدعوة، قسم العقيدة
٢٨/ ٣/ ١٤١٦هـ

kutub-pdf.net

وقد قدمت لهذا العمل الأُمور الآتية :

١ ـ طبعات الرسالة.

٢ ـ صحة نسبة الرسالة لشيخ الإسلام.

٣ ـ وصف النسخ الخطية لهذه الرسالة.

٤ ـ المصطلحات التي استعملتها في التحقيق.

٥ ـ بيان عملي في هذه الرسالة.

❑ ❑ ❑

kutub-pdf.net

١ ـ طبعات الرسالة :

هذه الرسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، لم تطبع مستقلة ـ فيما أعلم ـ إلا طبعة واحدة عام ١٣٩٩ هـ، في مصر بتحقيق الدكتور/ محمد السيد الجليند، بعنوان: «كتاب التوحيد وإخلاص العمل والوجه له عز وجل»، وهذه الطبعة قد نفذت الآن، كما يوجد بها نقص في مواضع سوف أُبينه في موضعه في الحاشية، كما يوجد بها أخطاء مطبعية، وقد طبعت ضمن مجموع الفتاوى الذي جمعه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم.

ولما كان شيخ الإسلام رحمه الله قد تكلم في هذه الرسالة على سورة الفاتحة، ولما كانت هذه السورة العظيمة مشتملة على التوحيد أعظم اشتمال فقد أطال رحمه الله الكلام عليها، وحيث إن الشيخ ابن قاسم رحمه الله لما جمع رسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، صنفها ورتبها بحسب الموضوعات فبدأ منها بما يتعلق بالعقيدة ثم بالتفسير ثم الحديث وهكذا، لهذا فإن الشيخ ابن قاسم رحمه الله أخذ الجزء الأول منها وهو ما يتعلق بتوحيد الإلهية وجعله في قسم العقيدة (١/ ٢٠ ـ ٣٦) وأخذ الجزء الباقي منها وهو الكلام على سورة الفاتحة وهو الكبير فجعله في قسم التفسير (١٤/ ٥ ـ ٣٦)، وقد ذكر الدكتور الجليند في مقدمته ص٦٧ أنه لم يطبع منها في مجموع الفتاوى إلا جزء قليل، وذلك بسبب أنه لم يطلع على بقية الرسالة في قسم التفسير، وهذا القسم منها المتعلق بالتفسير قد

kutub-pdf.net

طُبِعَ ضمن «دقائق التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية، الذي طُبِعَ بتحقيق الدكتور الجليند (٢/ ١٣٧)، كما طبع ضمن كتاب: «التفسير الكبير» لشيخ الإسلام، الذي طبع بتحقيق الدكتور/ عبدالرحمن عميرة (٢/ ٢٩٩)، هذا ولما كان في طبعها كاملة ومستقلة ما يسهل على القراء الحصول عليها وييسر الاستفادة منها، فقد عزمت على تحقيقها ونشرها، يسر الله ذلك ونفع به ورزقني المعونة والتوفيق والسداد إنه سميع عليم.

٢ ـ صحة نسبة هذه الرسالة لشيخ الإسلام رحمه الله :

نسبة هذه الرسائل لشيخ الإسلام رحمه الله صحيحة وذلك لأُمور منها:

١ ـ ذكرها تلميذه المحقق ابن القيم رحمه الله في رسالته: «مؤلفات شيخ الإسلام رحمه الله» ص٢٥ بعنوان: «قاعدة جامعة في توحيد الشهادة» ويترجح عندي أنها هي هذه، وإن اختلفت عن العنوان الكامل للرسالة الذي ذكره شيخ الإسلام، لا يعني أنها ليست هي؛ لأَن توحيد الشهادة هو توحيد الله، فاختصار العنوان أو ذكره بمعناه لايدل على عدم صحة النسبة ـ كما هو معروف ـ وقد ذكر الشيخ ابن قاسم رحمه الله أنها تسمى «قاعدة في توحيد الإلهية» وجاء على غلاف النسخة (ب): «هذه قاعدة في التوحيد».

٢ ـ أَفاد منها تلميذ المؤلف المحقق ابن القيم رحمه الله في أَول كتابيه: «طريق الهجرتين وباب السعادتين» و«إغاثة اللهفان» ونقل منها

kutub-pdf.net

بالنص تارة وبالمعنى تارة أُخرى، وتوسَّع في ذلك رحمه الله.

انظر: «طريق الهجرتين ص٥٥ وما بعدها» و«إغاثة اللهفان ١/ ٣٥ـ٥٥» وانظر «ص٣٠ وما بعدها من هذه القاعدة».

٣ ـ أسلوب الشيخ المتميز واضح فيها؛ لما عرف عنه رحمه الله من قوة الاستدلال ووضوح البيان وسعة الاطلاع.

٤ ـ ما جاء في أول النسخ كلها أنها لشيخ الإسلام رحمه الله.

٣ ـ وصف النسخ الخطية :

بتوفيق الله سبحانه حصلت على نسختين خطيتين لهذه الرسالة:

الأُولى: وهي الأَصل الذي اعتمدت عليه في التحقيق، حصلت على صورتها من مكتبة الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن الحصين رحمه الله وغفر له وأَسكنه جناته.

وهي ضمن مجموع في العقيدة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهي كاملة، ولكن المجموع التي هي ضمنه ناقص من الأَول والآخر، وقد حاولت العثور على بقيته، وذلك لكي أَتمكن من معرفة عنوانه وناسخه وتاريخ نسخه، لكني لم أَجده.

وهذه المخطوطة في عشر ورقات ومسطرتها ٢٠×١٥ سم تقريباً، وعدد الأَسطر ٢٧ سطراً في كل صحيفة تقريباً وهي بخط النسخ لكل صحيفة وخطها واضح وكبير، سقط منه بعض الكلمات فكان يستدركها

kutub-pdf.net

في الحاشية ويكتب عليها: صح، وهي مضبوطة وقليلة الأَخطاء وقد كتب في بعض حاشيتها بخط مغاير عناوين، مثل: مطلب في كذا أو فوائد، لكنها قليلة وسأشير إليها في موضعها، إن شاء الله، وقد اتخذتها الأَصل؛ لضبطها وقلة الأَخطاء.

الثانية: حصلت على صورتها من مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وهي مصورة على فيلم رقم ٤٥٦٤، وهي مصورة عن أصلها في جامعة ليدن بهولندا. وهذه المخطوطة ضمن مجموع فيه عدة كتب منها رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب التوحيد لابن قدامة وهو المطبوع بعنوان: «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، وهذه المخطوطة تقع في ١٤ ورقة ومسطرتها ٢٠×١٢ سم لكل صحيفة، وعدد الأسطر ٢٤ سطر في كل صحيفة تقريباً، وهي بخط النسخ وخطها جيد وقليل الأَخطاء، وكتب في الورقة العاشرة: بلغ مقابلة، كما كتب في نهايتها: بلغ مقابلة وتصحيحاً على الأَصل بحسب الطاقة والإمكان، سنة ١٣٣٧هـ، كما كتب في بعض المواضع؛ في الحاشية: لعله: كذا، ولم يظهر لي: هل هي بقلم الناسخ أو بقلم غيره؟ كما كتب على طرتها: قاعدة في التوحيد.

٤ ـ المصطلحات التي استعملتها في التحقيق :

(أ) نسخة الأَصل التي اعتمدت عليها في التحقيق.

(ب) النسخة الثانية، التي صورتها من مكتبة الجامعة الإسلامية.

kutub-pdf.net

(ف) طبعة الفتاوى.

(فتح) فتح الباري شرح صحيح البخاري وجميع إحالات صحيح البخاري عليه.

٥ ـ بيان عملي في هذه الرسالة :

١ ـ قمت بنسخ مخطوطة الأَصل الذي اعتمدت عليه في التحقيق ثم قابلته بالنسخة الخطية الثانية وأَثبت الفروق بينهما في الحاشية كما قمت بتصحيح النص وتصويبه، وبينت ذلك في الحاشية.

٢ ـ قابلت النص مع الطبعة المصرية ومع طبعة الفتاوى في بعض المواضع، وبينت النقص الواقع في الطبعة المصرية في الحاشية.

٣ ـ عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من كتاب الله.

٤ ـ خرجت الأَحاديث والآثار ما أَمكنني ذلك، وذكرت مواضعها من كتب السنة، وذكرت ما قاله العلماء في الحكم على الحديث بإيجاز.

٥ ـ شرحت الكلمات الغريبة في النص.

٦ ـ علقت على المواضع التي رأيت أنها تحتاج إلى بيان وتوضيح.

٧ ـ وضعت عناوين للموضوعات تسهيلاً للاستفادة منها، وقد استعنت في ذلك بالطبعة المصرية.

٨ ـ وضعت الفهارس الآتية:

١ ـ فهرس الآيات.

٢ ـ فهرس الأَحاديث والآثار.

٣ ـ فهرس الموضوعات.

kutub-pdf.net

kutub-pdf.net

نماذج من المخطوطات

kutub-pdf.net

kutub-pdf.net

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الإمام العالم أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني رحمه الله تعالى

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً فاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة قال الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير وقال وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون وقال تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله وقال تعالى إياك نعبد وإياك نستعين وقال تعالى فاعبده وتوكل عليه وقال عليه توكلت وإليه أنيب وقال تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى قل أرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المؤمنون وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً وقال تعالى ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون وقال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام الآية وقال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ونظائر هذا في القرآن كثيرة وكذلك في الأحاديث وكذلك في إجماع الأمة لا سيما أهل العلم والإيمان منهم فإن هذا عندهم قطب رحا الدين كما هو الواقع ولنبين هذا بوجوه نقدم قبلها مقدمة وذلك أن العبد وكل حي سوى الله بل وكل مخلوق فهو فقير محتاج إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره والمنفعة للحي هي من جنس النعيم واللذة والمضرة هي من جنس الألم والعذاب فلا بد له من أمرين أحدهما هو المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع ويلتذ به والثاني هو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع من دفع المكروه وهذان هما الشيئان المنفصلان الفاعل والغاية فهنا أربعة أشياء أحدها أمر هو محبوب مطلوب الوجود والثاني أمر مكروه مبغض مطلوب العدم والثالث الوسيلة إلى حصول المحبوب والرابع الوسيلة إلى دفع المكروه فهذه أربعة أمور ضرورية للعبد بل ولكل حي لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها وأما ما ليس بحي فالكلام فيه على وجه آخر إذا تبين ذلك فبيان ما ذكرته من وجوه أحدها أن الله هو الذي يجب أن يكون هو المقصود دفع المكروه وما يسوله هو المكروه وهو المعين على دفع المكروه فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة

الجامع

الورقة الأولى من المخطوطة (أ)

kutub-pdf.net

الورقة الأخيرة من مخطوطة (أ)

kutub-pdf.net

الورقة الأولى من المخطوطة (ب)

kutub-pdf.net

ولم تكن مصلحة له كان ذلك ضررا عليه وان حصل في الحال له فيه لذة ومنفعة فالاعتبار
بالمنفعة الخالصة او الراجحة وهذا مما عرفه الله [illegible] برسله وكتبه علموهم وزكوهم
وامروهم بما ينفعهم ونهوهم عما يضرهم وبينوا لهم ان مطلوبهم ومقصودهم
ومعبودهم يجب ان يكون هو الله وحده لا شريك له كما انه هو ربهم وخالقهم
وانهم ان تركوا عبادته او اشركوا به غيره خسروا خسرانا مبينا وضلوا ضلالا
بعيدا وكان ما اوتوه من قوة ومعرفة ورجا ومال وغير ذلك وان كانوا فيه
فقرا الى الله مستعينين به عليه مقرين بربوبيته فانه ضرر عليهم ولهم بئس المصير
وبئس القرار وهذا هو الذي يتعلق به الامر الديني الشرعي والارادة الدينية
الشرعية كما تتعلق بالاول الامر الكوني القدري والارادة الكونية القدرية والله
سبحانه قد انعم على المؤمنين بالاعانة والهداية فانه بين لهم هداهم بارسال
الرسل وانزال الكتب واعانهم على اتباع ذلك علما وعملا كما من عليهم وعلى سائر الخلق
بان خلقهم ورزقهم وعافاهم ومن على اكثر الخلق بان عرفهم ربوبيته لهم وحا
جتهم اليه واعطاهم سؤالهم واجاب دعاهم قال تعالى يسأله من في السموات
والارض كل يوم هو في شان فكل اهل السموات والارض يسأله فصارت الدرجات
اربعة قوم لم يعبدوه ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه والصنف الرابع الذين
عبدوه واستعانوه فاعانهم على عبادته وطاعته وهؤلاء هم الذين امنوا
امنوا وعملوا الصالحات وقد بين سبحانه ما خص به المؤمنين من قوله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
اولئك هم الراشدون

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وصلى الله على محمد واله ورضي
عن اصحابه اجمعين

بلغ مقابلة وتصحيحا
على الاصل بحسب

الورقة الأخيرة من مخطوطة (ب)

قاعدة جامعة

في توحيد الله والإخلاص لوجهه والعمل له عبادة واستعانة

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

تقديم وتحقيق

الدكتور عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري

الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

kutub-pdf.net

kutub-pdf.net

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

[قال الشيخ الإمام العالم أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله تعالى][٢]:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

(قاعدة [جامعة][٣] في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة) :

قال الله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنَّك على كل شيء قدير﴾ [آل عمران/ ٢٦]. وقال: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسَّكم الضر فإليه تجأرون﴾ [النحل/ ٥٣]. وقال تعالى[٤]: ﴿وإن

(١) بعدها في (ب) رب يسر وأعن.

(٢) ما بين القوسين من (أ) وليس في (ب).

(٣) في (ف) جليلة.

(٤) في (ف) ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ [الأنعام/ ١٧]. ثم قال: وقال تعالى في الآية الأخرى: ( ) ثم أورد هذه الآية المذكورة هنا في سورة يونس.

kutub-pdf.net

يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾ [يونس/ ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة/ ٥]. وقال تعالى: ﴿فاعبده وتوكّل عليه﴾ [سورة هود آية ١٢٣]. وقال: ﴿عليه توكلت وإليه أُنيب﴾ [الشورى/ ١٠]. وقال تعالى: ﴿يُسبح لله ما في السموات وما في الأَرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾ [التغابن/ ١]. وقال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد/ ١٩]. وقال تعالى: ﴿قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ [الزمر/ ٣٨]. وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأَرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أَذن له﴾ [سبأ/ ٢٢، ٢٣]. وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ [الإسراء/ ٥٦، ٥٧]. وقال تعالى: ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ [القصص/ ٨٨]. وقال تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لايموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً. الذي خلق السموات والأَرض وما بينهما... الآية﴾ [الفرقان/ ٥٨، ٥٩].

kutub-pdf.net

وقال تعالى: ﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين...﴾ [البينة/ ٥].

ونظائر هذا في القرآن كثير[١] ، وكذلك في الأَحاديث، وكذلك في إجماع الأُمـة، لاسيما أهل العلم والإيمـان منهم فإن هذا عنـدهم قطب رحا الدِّين كما هو الواقع، ويتبين هذا بوجوه نقدم قبلها مقدمة:

(١) في (أ) كثيرة. والمثبت من (ب) وهو الصحيح.

kutub-pdf.net

مقدمة في حاجة الجميع إلى الله

وذلك أن العبد بل وكل حي سوى الله بل وكل مخلوق [هو][١] فقير [محتاج][٢] إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، المنفعة للحي هي من جنس النعيم واللذة، والمضرة هي من جنس الألم والعذاب، فلابد من أمرين:

أحدهما: هو المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع ويلتذ به.

والثاني: وهو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع من دفع المكروه.

وهذان هما [الشيئان][٣] المنفصلان، الفاعل والغاية، فهنا أربعة أشياء:

أحدها: أمر هو محبوب مطلوب الوجود.

والثاني: أمر مكروه [مبغض][٤] مطلوب العدم.

---

(١) ليست في (ب).

(٢) ليست في (ب).

(٣) في (أ) السببان. والمثبت من (ب) و(ف).

(٤) في (ب) يبغض. والمثبت من (أ) و(ف).

kutub-pdf.net

والثالث: الوسيلة إلى حصول المحبوب.

والرابع: الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه أَربعة أُمور ضرورية للعبد بل ولكل حي لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها، وأَما ما ليس بحي فالكلام فيه على وجه آخر، إذا تبيَّن ذلك فبيان ما ذكرته من وجوه:

أحدها: أن الله هو الذي يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب [وهو المعين على المطلوب][1] وما سواه هو المكروه وهو المعين على دفع المكروه، فهو سبحانه الجامع للأُمور الأَربعة دون ما سواه، وهذا معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نعبد وإِيَّاكَ نستعين﴾ [الفاتحة/ ٥]. فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب [لكن][2] على أَكمل الوجوه، والمستعان هو الذي يُستعان به على المطلوب، فالأَول من معنى أُلوهيته والثاني من معنى [الربوبية][3].

معنى الأُلوهية :

[إذ الإله][4] هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً،

---

(١) ليست في (ب) وهي في (أ) و (ف).

(٢) في (ب) يكن. وهو خطأ.

(٣) في (أ) من معنى ربوبيته.

(٤) في (ب) أن لا إله إلا هو الذي يؤله. وهو خطأ.

kutub-pdf.net

والرب هو الذي يربي [عبده][1] فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿عليه توكلت وإليه أُنيب﴾ [الشورى/ ١٠]. وقوله: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [هود/ ١٢٣]. وقوله: ﴿... ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [الممتحنة/ ٤].

وقوله: ﴿وتوكل على الحي الذي لايموت وسبح بحمده﴾ [الفرقان/ ٥٨]. وقوله: ﴿عليه توكلت وإليه متاب﴾ [الرعد/ ٣٠]. وقوله: ﴿...وتبتل إليه تبتيلاً. رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً﴾ [المزمل/ ٨، ٩].

فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأَصلين الجامعين.

□ **الوجه الثاني :**

أن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته والإخلاص له؛ فبذكره تطمئن قلوبهم، وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم، ولا شيء في الآخرة أَحب إليهم من النظر إليه، ولا شيء [يعطيهم في الدنيا][2] أَعظم من الإيمان به، وحاجتهم إليه في عبادتهم إيَّاه وتألههم [إياه][3] كحاجتهم وأَعظم من خلقه لهم وربوبيته إيَّاهم، فإن ذلك هو

---

(١) في (ب) عبيده. وهو خطأ.

(٢) في (ب) ولا شيء في الدنيا. والمثبت من (أ) و(ف) وهو الصحيح.

(٣) ليست في (ب).

kutub-pdf.net

الغاية المقصودة لهم، وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولاصلاح لهم ولا فلاح ولا نعيم ولا لذة بدون ذلك بحال؛ بل من أَعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أَعمى، ولهذا كان الله لايغفر أَن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء، ولهذا كانت لا إله إلا الله أَحسن الحسنات، وكان التوحيد بقوله: (لاإله إلا الله) هو رأس الأَمر.

فأَما توحيد الربوبية الذي أَقر به الخلق وقرره أَهل الكلام فلا يكفي وحده بل هو من الحجة عليهم، وهذا معنى ما يروى: «يا ابن آدم خلقت كل شيء لك وخلقتك لي فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له»[١].

واعلم [أن هذا حق الله على عباده أَن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً][٢] كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ عن النبي ﷺ أنه قال: «أَتدري ما حق الله على عباده؟ قال: قلت: الله ورسوله أَعلم، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أَتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أَعلم، قال: حقهم إن فعلوا ذلك أن لايعذبهم»[٣][٤].

---

(١) لم أجده.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٣) رواه البخاري ١٣/ ٣٥٩ رقم (٧٣٧٣) في التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم رقم (٢٩) ١/ ٥٨ في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٤) هذا الحديث ساقط بتمامه من الطبعة المصرية، انظر ص٧٥ من الكتاب المذكور.

kutub-pdf.net

وهو يحب ذلك ويرضى به ويرضى عن أَهله ويفرح بتوبة من عاد إليه، كما أن في ذلك لذة [العبد][١] وسعادته ونعيمه.

وقد بينت بعض معنى محبة الله لذلك وفرحه به في غير هذا الموضع[٢]، فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئن به ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله سبحانه، ومن عبد غير الله وإن أَحبه وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسد لصاحبه أَعظم من مفسدة التذاذ آكل الطعام المسموم: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ [الأنبياء/ ٢٢]. فإن قوامهما بأن تَأْلَهَ الإله الحق؛ فلو كان فيهما آلهة غير الله لم يكن إلهاً حقاً، إذ الله لاسمي له ولا مثل، فكانت تفسد لانتفاء [ما به][٣] صلاحها، هذا من جهة الإلهية، وأَما من جهة الربوبية فشيء آخر كما يقرره في موضعه المتكلمون.

حاجة العبد إلى عبادة الله:

واعلم أن فقر العبد إلى [..][٤] أن يعبد الله لايشرك به شيئاً، ليس له

---

(١) في (ب) السعيد. والمثبت من (أ) و(ف) وهو الصحيح.

(٢) لعل ابن تيمية رحمه الله يشير إلى رسالته (قاعدة في المحبة) وهي رسالة جليلة الشأن في بابها، وقد طبعت ضمن المجلد الثاني من مجموعة رسائل ابن تيمية بتحقيق د/ محمد رشاد سالم، ثم طبعت مستقلة.

(٣) ليست في (ب).

(٤) في (ب) زيادة (الله) وكذلك في (ف).

kutub-pdf.net

نظير فيقاس به، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب وبينهما فروق كثيرة.

فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو؛ فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، فهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته ولابد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ غير منعم له ولا ملتذ له؛ بل قد [يؤذيه][(١)] اتصاله [به][(٢)] ووجوده عنده [ويضره][(٣)] ذلك.

وأَما إلهه فلابد له منه في كل حال وكل وقت، وأَينما كان فهو معه، ولهذا قال إمامنا الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿لا أُحب الآفلين﴾ [الأنعام/ ٧٦]. وكان أَعظم آية في القرآن: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم...﴾ [البقرة/ ٢٥٥]. وقد بسط الكلام في معنى القيوم في موضع آخر[(٤)]، وبيّنا أَنه الدائم الباقي الذي لايزول ولا يعدم ولا يفنى بوجه من الوجوه.

---

(١) في (ب) يورثه. والمثبت من (أ) و(ف).

(٢) ليست في (ب).

(٣) في (ب) يضر.

(٤) لم أجد ما يشير إليه المؤلف رحمه الله فيما تيسر لي الاطلاع عليه من كتبه.

kutub-pdf.net

واعلم أَن هذا الوجه مبني على أَصلين:

أَحدهما : أن نفس الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه أَهل الإيمان، وكما دل عليه القرآن، لاكما يقول من يعتقد أَهل الكلام ونحوهم أَن عبادته تكليف ومشقة وخلاف مقصود القلب؛ لمجرد الامتحان والاختبار، أَو لأَجل التعويض بالأَجر كما يقوله المعتزلة وغيرهم، فإنه وإن كان في الأَعمال الصالحة ما هو على خلاف هوى النفس، والله سبحانه يأجر العبد على الأَعمال المأمور بها مع المشقة كما قال: ﴿ذلك بأَنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة... الآية﴾ [التوبة/ ١٢٠]. وقال ﷺ لعائشة: «أَجرك على قدر نصبك»[(١)].

فليس ذلك هو المقصود الأَول بالأَمر الشرعي وإنما وقع ضمناً وتبعاً لأَسباب ليس هذا موضعها، وهذا يفسر في موضعه[(٢)]؛ ولهذا لم يجئ في الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح أَنه تكليف، كما يطلق ذلك كثير من المتكلمة

(١) نصبك:النصب: التعب؛ والمعنى أن الثواب في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة، والمراد النصب الذي لا يذمه الشرع وكذا النفقة. قاله النووي، انظر شرح صحيح مسلم ٨/ ١٥٢ ــ ١٥٣، وفتح الباري ٣/ ٧١٥. وهذا الحديث أصله في البخاري في عدة مواضع منها: ١/ ٤٧٧ رقم (٢٩٤)، ٣/ ٧١٥ رقم (١٧٨٧)، وفي مسلم ٢/ ٨٧٦ ـ ٨٧٧. وهذه الرواية أخرجها الدارقطني في سننه ٢/ ٢٨٦، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٧١ـ٤٧٢.

(٢) انظر ما يحيل إليه المؤلف رحمه الله في الفتاوى ١٠/ ١٢٢ـ١٢٤، ٢٥/ ١٨١ـ١٨٣.

kutub-pdf.net

والمتفقهة، وإنما جاء في القرآن ذكر التكليف في موضع النفي كقوله: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة/ ٢٨٦]. ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾ [النساء/ ٨٤]. ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ [الطلاق/ ٧].

أي وإن وقع في الأَمر تكليف فلا يكلف إلا قدر الوسع، لا أنه يسمي جميع الشريعة تكليفاً، مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب ولذات الأَرواح وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله، والإنابة إليه، وذكره، وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذي تطمئن إليه القلوب ولا يقوم غيره مقامه في ذلك أَبداً ﴿فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميّاً﴾ [مريم/ ٦٥]. فهذا أَصل.

الأَصل الثاني: أَن النعيم في الدار الآخرة أَيضاً به[1] مثل النظر إليه، لا كما تزعم طائفة من أَهل الكلام ونحوهم أَنه لانعيم ولا لذة إلا بالمخلوق من المأكول والمشروب والمنكوح ونحو ذلك، بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق سبحانه وتعالى كما في الدعاء المأثور: «أَسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة»[2] رواه النسائي وغيره[3].

(١) به: أي بالله.

(٢) من هنا إلى قوله فيما يأتي: «وقد ورد من الأحاديث والآثار ما يصدق هذا» ساقط من الطبعة المصرية، وهو ما يزيد على نصف صحيفة. انظر ص٧٩ من الكتاب المذكور، وقد جعلت السقط بين قوسين.

(٣) رواه النسائي في السهو باب الدعاء بعد الذكر ٣/ ٤٧، وأحمد في المسند ٥/ ١٩١، وذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (١٢٣٧).

kutub-pdf.net

وفي صحيح مسلم وغيره عن صهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، [..][(١)] ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار، قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه سبحانه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهو الزيادة»[(٢)].

فبين النبي ﷺ أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم الله في الجنة لم يعطهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وإنما يكون أحب إليهم؛ لأن تنعمهم به وتلذذهم به أعظم من التنعم والتلذذ بغيره، فإن اللذة تتبع الشعور بالمحبوب، فكل ما كان الشيء أحب إلى الإنسان [كان حصول لذته][(٣)] وتنعمه به أعظم، وقد روي: «إن يوم المزيد وهو يوم الجمعة من أيام الآخرة»[(٤)(٥)].

---

(١) في (أ) زيادة (ويثقل موازيننا) وليست في صحيح مسلم ولا بقية النسخ.

(٢) رواه مسلم ١/ ١٦٣ رقم (٢٩٧ـ٢٩٨) في الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

(٣) في (ب) كان حصوله لذته.

(٤) في (ب) و(ف): وروي أن يوم الجمعة يوم المزيد وهو يوم الجمعة من أيام الآخرة.

(٥) جاء ذلك في حديث طويل وفيه: «إن يوم الجمعة هو يوم المزيد وفيه يرى المؤمنون ربهم في الجنة». رواه الإمام الشافعي في مسنده ١٢٦ـ١٢٧، وأبو يعلى في مسنده ٧/ ٢٢٨ـ٢٢٩، وابن منده في الرد على الجهمية ص١٠١، والدارقطني في الرؤية ص١٧٢ وما بعدها، والآجري في الشريعة ص٢٦٥ من عدة طرق عن أنس، والطبراني في الأوسط: مجمع البحرين رقم (٩٤٤)، والبزار: كشف الأستار رقم =

kutub-pdf.net

وقد ورد من الأَحاديث والآثار ما يصدق هذا، ولهذا قال تعالى في حق الكفار: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ [المطففين/ ١٥، ١٦]. فعذاب الحجاب من أَعظم أَنواع العذاب، ولذة النظر إلى وجهه أَعلى اللذات[١]، ولاتقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم منه تعالى.

وهذان الأَصلان ثابتان في الكتاب والسنة وعليهما أَهل العلم والإيمان، ويتكلم فيهما مشائخ الصوفية العارفون، وعليهما أَهل السنة والجماعة وعوام الأُمة، وذلك من فطرة الله التي فطر الناس عليها وقد يحتجون على من ينكرها بالنصوص والآثار تارة، وبالذوق والوجد أُخرى ـ إذا أَنكر اللذة ـ فإن ذوقها ووجدها ينفي إنكارها، وقد يحتجون بالقياس [والأَمثال][٢] تارة وهي الأَقيسة العقلية.

= (٣٥١٩)، قال الهيثمي في إسناد الطبراني: رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٢/ ١٦٣ـ١٦٤ وقال: رجال أبي يعلى ثقات رجال الصحيح، وإسناد البزار فيه خلاف. مجمع الزوائد ١٠/ ٤٢١. وأورده ابن القيم في حادي الأرواح ص٣٠٥، وقال: هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمل به الشافعي مسنده... ثم أورد طرقه.

(١) استدل الإمام الشافعي رحمه الله وغيره من الأَئمة بهذه الآية على رؤية المؤمنين ربهم. (انظر حادي الأرواح لابن القيم ص٢٨٤).

(٢) في (ب) و(ف) في الأمثال. والمثبت من (أ).

kutub-pdf.net

☐ الوجـــه الثالث :

أَن المخلوق ليس عنـده للعبد نفع ولا ضـر، ولا عطاء ولا منع، ولا هدى ولا ضلال، ولا [نصر][١] ولا خذلان، ولا خفض ولا رفع، ولا عز ولا ذل؛ بل ربه هو الـذي خلقه ورزقه وبصّره وهداه وأَسبغ عليـه نعمه، فإذا مسـه الله بضر لم يكشفـه عنـه غيره، وإذا أَصـابه بنعمـة لم يـرفعها عنـه سواه، والعبد فـلا ينفعه[٢] ولا يضره إلا بإذن الله، وهـذا الوجه [أَظهـر من الأَول للعامة][٣] ولهذا خـوطبوا به فـي [القرآن][٤] أَكثر من الأَول؛ لكن إذا تدبّـر اللبيب طريقة القـرآن وجد أَن الله يدعـو عباده بهذا الـوجه إلى الأَول، فهذا الـوجه يقتضي التـوكل على الله والاستعـانة بـه [ودعائه][٥] ومسأَلته دون مـا سواه، ويقتضي أَيضاً محبـة الله وعبادته؛ لإحسـانه إلى عبـده وإسباغ نعمـه عليه وحـاجة العبـد إليـه في هذه النعـم، لكن إذا عبدوه وأَحبوه وتوكلوا عليه من هذا الوجه دخلوا في الوجه الأَول.

ونظيره في الدنيا من نـزل به بلاء عظيم أَو فاقة[٦] شديدة أَو خوف مقلق، فجعل يـدعو الله ويتضـرع إليه حتـى فتح له مـن لذيـذ مناجـاته وعظيم الإيمان به والإنـابة إليه ما كان أَحب إليه مـن تلك الحاجة التي

---

(١) في (ب) نصير.

(٢) كذا في المخطوطتين، وفي الفتاوى: «وأن العبد فلا ينفعه ولا يضره...» وهو الأصح.

(٣) في (ب) و (ف) أظهر للعامة من الأول. (٤) ساقطة من (ب).

(٥) في (أ) و (ب) (والدعاء له) والمثبت من (ف) وهو الصحيح.

(٦) الفاقة: الفقر والحاجة، مختار الصحاح (فوق).

kutub-pdf.net

قصدها أَولاً، لكنه لم يكن يعرف ذلك أولاً حتى يقصده ويشتاق إليه.

والقرآن مملوء من ذكر حاجة العباد إلى الله دون ما سواه، ومن ذكر نعمائه عليهم، ومن ذكر ما وعدهم في الآخرة من صنوف النعيم واللذات، وليس عند المخلوق شيء من هذا، فهذا الوجه يحقق التوكل على الله والشكر له ومحبته على إحسانه.

□ الوجه الرابع :

أَن تعلق العبد بما سوى الله مضرة عليه إذا أَخذ منه القدر الزائد على حاجته في عبادة الله، فإنه إن نال من الطعام والشراب فوق حاجته؛ ضره وأَهلكه، وكذلك من النكاح واللباس، وإن أَحب شيئاً حباً تاماً بحيث يخالله؛ فلابد أَن يسأمه أَو يفارقه[1] ، وفي الأَثر المأثور: «أَحبب [من][2] شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك لاقيه، وكن كما شئت فكما تدين تُدان»[3].

واعلم أَن كل من أَحب شيئاً لغير الله فلابد أَن يضره محبوبه،

---

(١) من هنا إلى قوله فيما يأتي: (الوجه الخامس) ساقط من الطبعة المصرية، وهو ما يزيد على نصف صحيفة. انظر ص٨١ من الكتاب المذكور، وهو موجود في المخطوطتين وفي الفتاوى ١/ ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) في (ب) ما.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، لكن جاء الشطر الأول منه في حديث رواه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٢٠٢ عن علي رضي الله عنه، وجاء الشطر الأخير منه في حديث رواه عبدالرزاق في المصنف ١١/ ١٧٩ من حديث أبي قلابة مرسلاً.

kutub-pdf.net

ويكون ذلك سبباً لعذابه: «ولهذا كان الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله يمثل لأَحدهم كنزه يوم القيامة شجاعاً أَقرع يأخذ بلهزمتيه[١]، يقول: أَنا كنزك، أَنا مالك»[٢].

وكذلك نظائر هذا، وفي الحديث يقول الله يوم القيامة: «يا ابن آدم أليس عدلاً مني أن أولي كل رجل منكم ما كان يتولاه في الدنيا»[٣].

وأَصل التولي[٤] : الحب، فكل من [تولى شيئاً][٥] دون الله؛ ولاَّه الله [يوم القيامة][٦] ما تولى وأَصلاه جهنم وساءت مصيراً، فمن أَحب

---

(١) لهزمتيه: بكسر اللام وسكون الهاء بعدها زاي مكسورة، وقد فسر في الحديث بالشدقين، وقيل: هما العظمان الناتئان في اللحيين تحت الأذنين (فتح الباري ٣/ ٣١٧ ـ ٣١٨).

(٢) رواه البخاري في الزكاة باب إثم مانع الزكاة ٣/ ٣١٥ رقم(١٤٠٣)، ومسلم في الزكاة رقم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، لكن أخرج الطبراني عن ابن مسعود وأبي موسى نحوه. انظر مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٠ـ٣٤٣، وأصل الحديث في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد في حديث طويل وفيه (يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر...) وفي رواية «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد...» انظر جامع الأصول ١٠/ ٤٤٠ـ٤٤٧.

(٤) في (أ) في الحاشية: ذكر أصل التولي.

(٥) في (ب) فكل من أحب شيئاً.

(٦) زيادة من (ب) و(ف).

kutub-pdf.net

شيئاً لغير الله فالضرر حاصل له إن وجد أَو فقد، وإن فقد [عذب][(١)] بالفراق وتألم، وإن وجد فإنه يحصل له من الألم أكثر مما يحصل من اللذة، وهذا أمر معلوم بالاعتبار والاستقراء: كل من أحب شيئاً دون الله [لغير الله][(٢)] فإن مضرته أكثر من منفعته، فصارت المخلوقات وبالاً عليه إلاَّ الله، وهذا [يحقق][(٣)] معنى ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه» رواه الترمذي وغيره[(٤)].

□ **الوجه الخامس :**

أَن اعتماده على المخلوق وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته، فإنه يخذل من تلك الجهة، وهذا أيضاً معلوم بالاعتبار [والاستقراء، فما علَّق][(٥)] العبد رجاه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خذل، وقد قال تعالى: ﴿واتخذوا

---

(١) في (أ) تعذب. والمثبت من (ب) و(ف).

(٢) ليست في (أ) وهي في (ب) و(ف).

(٣) ليست في (ب).

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٣٢٢)، وابن ماجه رقم (٤١١٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ ناصر الدين في صحيح الجامع رقم (٣٤٠٨). قلت: المقصود بالملعون هنا من الدنيا هو ما فيها من الفواحش والمنكرات وما يصد عن الله وعن ذكره، وأما ما فيها مما أحله الله وأباحه من الطيبات والرزق الحلال إذا استمتع به المسلم وجعله معونة على طاعة الله وذكره؛ فلا يدخل في الوعيد بل هو مما يوالي ذكر الله. والله أعلم.

(٥) في (ب) واستقراء، ما علق.

kutub-pdf.net

من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً. كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾ [مريم/ ٨١، ٨٢].

وهذان الوجهان في المخلوقات نظير العبادة والاستعانة في الخالق، فلما قال ﴿إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين﴾ كان صلاح العبد في عبادة الله واستعانته، وكان في عبادة ما سواه واستعانته بما سواه مضرته وهلكته وفساده.

□ **الوجه السادس :**

أَن الله سبحانه غني حميد كريم واحد رحيم، فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد ولا لدفع مضرة، بل رحمة وإحساناً، والعباد لا يتصور أَن يعملوا إلا لحظوظهم، فأَكثر ما عندهم للعبد أَن يحبوه ويعظموه ويجلبوا له منفعة ويدفعوا عنه مضرة ما، وإن كان ذلك أَيضاً من تيسير الله سبحانه، فإنهم لا يفعلون ذلك إلا لحظوظهم من العبد، إذا لم يكن العمل لله، فإنهم إذا أحبوه طلبوا أن ينالوا أَغراضهم من محبته، سواءً أَحبوه لجماله الباطن والظاهر.

فإذا أَحبوا الأَنبياء والأَولياء وطلبوا لقاءهم فهم يحبون التمتع برؤيتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك؛ وكذلك من أَحب إنساناً لشجاعته أَو رياسته أَو جماله أَو كرمه؛ فهو يحب أن ينال حظه من تلك المحبة، ولولا التذاذه بها لما أَحب، وإن جلبوا له منفعة كخدمة أو مال، أو

kutub-pdf.net

دفعوا عنه مضرة كمرض وعدو، ولو بالدعاء والثناء؛ فهم يطلبون العوض إذا لم يكن العمل لله، فأجناد الملوك وعبيد المالك وأجراء [الصانع][(١)] وأعوان الرئيس، كلهم إنما يسعون في نيل أغراضهم، لايعرج أكثرهم على قصد منفعة المخدوم؛ إلا أن يكون قد عُلِّم وأُدِّب من جهة أخرى، فيدخل ذلك في الجهة الدينية، أو يكون فيه طبع عدل وإحسان من باب المكافآت والرحمة، وإلاَّ فالمقصود بالقصد الأول هو منفعة نفسه.

وهذا من حكمة الله تعالى التي أقام بها مصالح خلقه [إذ قسم][(٢)] بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً.

إذا تبين هذا ظهر أن المخلوق لا يقصد منفعتك بالقصد الأول، بل إنما يقصد منفعته بك، وإن كان ذلك قد يكون عليك فيه ضرر إذا لم يراع العدل، فإذا دعوته فقد دعوت من ضره أقرب من نفعه، والرب سبحانه يريدك لك، ولمنفعتك بك، لاينتفع بك، وذلك منفعة لك بلا مضرة.

فتدبَّر هذا، فملاحظة هذا الوجه يمنعك أن ترجو المخلوق أو تطلب منه منفعة لك، فإنه لايريد ذلك بالقصد الأول، كما أنه لايقدر

---

(١) في (أ) الصناع. والمثبت من (ب) و(ف).
(٢) في (ب) وقسم.

kutub-pdf.net

عليه، ولا يحملك هـذا على جفوة الناس وترك الإحسـان إليهم واحتمال أذاهم، بـل أحسن إليهم لله لا لـرجـاهم، وكمـا لا تخفهم فـلا تـرجهم، وخف الله في الناس ولا تخـف الناس [في الله][1] ، وارج الله في الناس ولا ترج الناس في الله، وكـن ممن قال الله [فيه][2]: ﴿وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي مـاله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمـة تُجزى . إلاَّ ابتغاء وجه ربه الأعلى. ولسوف يرضى﴾ [الليل/ ١٧ ـ ٢١]. وقال فيه: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ [الإنسان/ ٩].

❑ **الوجه السابع :**

أن غالب الخلـق يطلبون إدراك حاجتهم بك وإن كـان ذلك ضرر عليك، فإن صاحب الحاجة أعمى لايعرف إلاَّ قضاءها.

❑ **الوجه الثامن :**

أنـه إذا أصـابك مضـرة كـالخـوف والجوع والمـرض؛ فـإن الخلق لايقدرون على دفعهـا إلا بإذن الله، ولايقصدون دفعها إلا لغـرض لهم في ذلك.

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) زيادة من (ب) و(ف).

kutub-pdf.net

❑ **الوجه التاسع :**

أَن الخلق لو اجتهدوا أَن ينفعوك لم ينفعوك إلا بأمر [قد][1] كتبه الله لك، ولو اجتهدوا أَن يضروك لم يضروك إلا بأمر قد كتبه الله عليك، فهم لاينفعونك إلا بإذن الله، ولا يضرونك إلا بإذن الله، فلا تُعلِّق بهم رجاءك ولا خوفك، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور. أَمَّنْ هذا الذي يرزقكم إنْ أَمسك رزقه بل لَجُّوا في عُتُوٍّ ونفور﴾ [تبارك/ ٢٠ ـ ٢١].

والنصر يتضمن رفع الضرر، والرزق يتضمن حصول المنفعة، قال تعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أَطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ [قريش/٣، ٤]. وقال: ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدُنَّا﴾ [القصص/٥٧]. وقال الخليل عليه السلام: ﴿رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أَهله من الثمرات... الآية﴾ [البقرة/١٢٦]. وقال النبي ﷺ: «هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم، بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم»[2].

---

(١) ليست في (ب).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٩٦) ٦/ ١٠٤ في الجهاد باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، عن سعد بن أبي وقاص، دون ذكر الإخلاص؛ وهذه الرواية للنسائي في سننه ٦/ ٣٧ـ٣٨ في الجهاد باب الاستنصار بالضعيف.

kutub-pdf.net

فصـــــــل

جماع هذا أَنك إذا كنت غير عالم [بمصلحتك][١] ولا قادر عليها ولا مريد لهـا كما ينبغي؛ فغيرك من الناس أَولى أَلَّا يكـون عالماً بمصلحتك ولا قادراً عليها ولا مريداً [لها][٢]، والله سبحانه هو يعلم ولا تعلم ويقدر ولا تقدر ويعطيك مـن فضلـه العظيم، كمـا فـي الحـديث [الصحيـح][٣] حـديث الاستخـارة: «اللهم إني أَستخيـرك بعلمك، وأَستقـدرك بقدرتك، وأَسـألك من فضلـك العظيم، فـإنك تقـدر ولا أَقـدر، وتعلـم ولا أَعلم، وأَنـت عـلاّم الغيوب»[٤].

(١) في (أ) لمصلحتك.

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) ليست في (ب) و(ف).

(٤) رواه البخاري في صحيحـه ١١/ ١٨٧ رقم (٦٣٨٢) في الدعـوات باب الدعـاء عند الاستخارة، من حديث جابر رضي الله عنه.

kutub-pdf.net

فصـــل
(وهو مثل المقدمة لهذا الذي أَمامه)

وهو أَن كل إِنسان فهو حارث همـام، حساس متحرك بالإِرادة، بل كل حي فهو كذلك له علم وعمل بإِرادته؛ والإِرادة هي المشيئة والاختيار، ولابد في العمل الإِرادي والاختياري من مراد هـو المطلوب، ولا يحصل المراد إلا بأَسباب ووسائل تحصله، فإن حصل بفعل العبـد فلابد من قدرة وقوة، وإِن كان من خـارج فلابد من فاعل غيـره، وإِن كان منه ومن الخارج فـلابد من الأَسباب كالآلات ونحو ذلك.

فلابد لكل حي من إِرادة، ولابد لكل مـريد من عون يحصل به مراده، فصار العبـد مجبولاً على أَن يقصد شيئـاً ويريده، ويستعيـن بشيء ويعتمد عليـه في تحصيل مـراده، هـذا أَمر حتـم لازم ضروري فـي حق كل إِنسـان يجده [من][1] نفسه.

لكن المراد والمستعان علـى قسمين: [منه ما يُراد لغيره، ومنـه ما يراد لنفسه][2] والمستعان منه مـا هو المستعان نفسه ومنه مـا هو تبع للمستعان وآلة لـه، فمن المرادات مـا يكون هو الغـاية المطلـوب، فهو الذي يـذل له الطالب ويحبه وهو الإِله المعبود.

---

(١) في (ب) في.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).

kutub-pdf.net

ومنه ما يراد لغيره بحيث يكون المراد هو ذلك الغير فهذا مراد بالغرض.

ومن المستعان ما يكون هو الغاية التي يعتمد العبد عليه ويتوكل عليه ويعتضد به، ليس عنده فوقه غاية في الاستعانة.

ومنه ما يكون تبعاً لغيره بمنزلة الأَعضاء [من][1] القلب، والمال مع المالك، والآلات مع الصانع.

فإذا تدبَّر الإنسان حال نفسه وحال جميع الناس وجدهم لاينفكون عن هذين الأَمرين؛ لابد للنفس من شيء تطمئن إليه وتنتهي إليه محبتها هو إلهها، ولابد لها من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها هو مستعانها سواء كان ذلك هو الله أو غيره، وإذا كان فقد يكون عاماً وهو الكفر كمن عبد غير الله مطلقاً، وسأل غير الله مطلقاً، مثل: عباد الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك، الذين يطلبون منهم الحاجات ويفزعون إليهم في النوائب.

وقد يكون خاصاً في المسلمين مثل: من غلب عليه حب المال، أَو حب شخص، أَو حب الرياسة، حتى صار عبد ذلك، كما قال ﷺ: «تعس[2] عبدالدرهم، تعس عبدالدينار، تعس عبدالقطيفة[3]، تعس

---

(١) في (ب) مع.

(٢) تعس: دعاء عليه بالهلاك.

(٣) القطيفة: كساء له خمل.

kutub-pdf.net

عبدالخميصة[١]، إنْ أُعطي رضي وإن منع سخط، تعس وانتكس[٢]، وإذا شيك فلا انتقش»[٣] [رواه البخاري][٤][٥].

وكذلك من غلب عليه الثقة بجاهه وماله بحيث يكون عنده مخدومه من الرؤساء ونحوهم أَو خادمه من الأَعوان والأَجناد ونحوهم، أَو أَصدقائه أَو أَمواله، هي التي تجلب المنفعة الفلانية وتدفع المضرة الفلانية، فهو معتمد عليها ومستعين بها، والمستعان هو مدعو ومسؤول، وما أَكثر ما يتلازم العبادة والاستعانة؛ فمن اعتمد القلب عليه في رزقه ونصره ونفعه وضره؛ خضع له وذلّ وانقاد وأَحبه من هذه الجهة، وإن لم يحبه لذاته، لكن قد يغلب عليه الحال حتى يحبه لذاته وينسى مقصوده منه، كما يصيب كثيراً ممن يحب المال، أَو يحب من يحصل له به العز والسلطان.

وأَما من أَحبه القلب وأَراده وقصده فقد لايستعينه ويعتمد عليه إلا إذا استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه، كاستشعار المحب قدرة المحبوب على وصله، فإذا استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه؛ استعانه وإلا فلا.

---

(١) الخميصة: ثياب خز أو صوف معلمة.

(٢) انتكس: الانقلاب على الرأس، وهذا دعاء عليه أيضاً بالخيبة ؛لأَن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر.

(٣) الانتقاش: إخراج الشوكة من الجسم. (انظر شرح الكلمات الغريبة في هذا الحديث في جامع الأُصول لابن الأثير ٩/ ٤٩٥).

(٤) ليست في (ب).

(٥) في الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ٦/ ٩٥-٩٦، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

kutub-pdf.net

فالأَقسام ثلاثة: قد يكون محبوباً غير مستعان، وقد يكون مستعاناً غير محبوب، وقد يجتمع فيه الأَمران.

فإذا عُلِمَ أَن العبد لابد له في كل وقت وحال من منتهى يطلبه هو إلهه، ومنتهى يطلب منه هو مستعانه، وذلك هو صمده الذي يصمد إليه في استعانته وعبادته.

تبيَّن أَن قوله: ﴿إِيَّاكَ نعبد وإِياك نستعين﴾ [الفاتحة/ ٥] كلام جامع [محيط][1] أولاً، وآخراً لا يخرج عنه شيء، فصارت الأَقسام أَربعة:

إما أن يعبد غير الله ويستعينه وإن كان مسلماً (فالشرك في هذه الأُمة أَخفى من دبيب النمل)[2].

وإما أَن يعبده ويستعين غيره، مثل كثير من أَهل [العبادة][3] الذين يقصدون طاعة الله ورسوله وعبادته وحده لاشريك له، وتخضع قلوبهم

---

(١) زيادة في (ب) و (ف).

(٢) جزء من حديث رواه أحمد في المسند ٤/ ٣٠٣، والطبراني في الكبير وفي الأوسط كما في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٣ ــ ٢٢٤ من طريق أبي علي الكاهلي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال المنذري في الترغيب (١/ ٧٠): رواية أبي علي محتج بهم في الصحيح وأبو علي وثقه ابن حبان ولم أر أحداً جرحه، وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد، وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣٣).

(٣) في (ب) و (ف) : الدين.

kutub-pdf.net

لمن يستشعرون نصرهم ورزقهم وهدايتهم من جهة، من الملوك والأغنياء والمشائخ.

وإما أن يستعينه وإن عبد غيره مثل كثير من ذوي الأحوال وذوي القدرة والسلطان الباطن أو الظاهر، وأهل الكشف والتأثير الذين يستعينونه ويعتمدون عليه ويسألونه ويلجأون إليه، لكن مقصودهم غير ما أمر الله به ورسوله وغير اتباع دينه وشريعته التي بعث بها رسوله.

والقسم الرابع: الذين لايعبدون إلا إيَّاه [ولا يستعينون إلا إيَّاه][1] وهذا القسم الرباعي قد ذكر فيما بعد أيضاً، لكنه تارة يكون بحسب العبادة والاستعانة، وتارة يكون بحسب المعبود والمستعان، فهنا هو بحسب المعبود والمستعان، لبيان أنه لابد لكل عبد من معبود مستعان، وفيما بعد بحسب عبادة الله واستعانته، فإن الناس [فيها][2] على أربعة أقسام[3].

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) ليست في (أ) وهي في (ب) و(ف).

(٣) نهاية ما في الجزء الأول من الفتاوى من هذه الرسالة، انظر ١/ ٣٦.

kutub-pdf.net

فصل في الفاتحة[١]

وأما حديث فاتحة الكتاب فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله رب العالمين» قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: «مالك يوم الدِّين» قال الله: مجدَّني عبدي، وإذا قال: «إياك نعبد وإيَّاك نستعين» قال: هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»[٢].

وثبت في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأَرض ولم ينزل قط إلا اليوم فسلم، وقال: أَبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي

---

(١) هذا الفصل بتمامه ليس في المخطوطتين، وقد ذكر محقق الطبعة المصرية ص٩١ أنه غير موجود في المخطوطة التي اعتمد عليها في التحقيق، وقد أثبته هنا من الفتاوى ١٤/ ٤ــ٥ تتميماً للفائدة، حيث إن كلام شيخ الإسلام رحمه الله هنا حول فاتحة الكتاب.

(٢) رواه مسلم رقم (٣٩٥)، من حديث أبي هريرة.

kutub-pdf.net

قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف فيها إلا أعطيته»[١] وفي بعض الأَحاديث: «أن فاتحة الكتاب أعطيتها من كنز تحت العرش»[٢].

(١) رواه مسلم ١/ ٥٥٤، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) جاء ذلك في أحاديث منها ما رواه إسحاق بن راهويه في مسنده عن علي رضي الله عنه، وما رواه ابن الضريس في فضائل القرآن ص١٣٦ عن أنس رضي الله عنه، وانظر الدر المنثور ١/ ١٦.

kutub-pdf.net

فصل في الفاتحة[١]

قال الله تعالى في أم القرآن والسبع المثاني والقرآن العظيم: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة/ ٥]. وهذه السورة هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي الشافية، وهي الواجبة في الصلوات لا صلاة إلا بها، وهي الكافية تكفي من غيرها ولا يكفي غيرها منها.

[والصلاة][٢] أفضل الأعمال وهي مؤلفة من كلم طيب وعمل صالح، فأفضل كلمها الطيب وأوجبه أم القرآن، وأفضل عملها الصالح وأوجبه السجود، كما جمع بين الأَمرين في أول سورة أنزلها على رسوله، حيث افتتحها بقوله: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [سورة العلق/ ١]. وختمها بقوله: ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق/ ١٩]. فوضعت الصلاة على ذلك أولها القراءة وآخرها السجود.

ولهذا قال سبحانه في صلاة الخوف: ﴿فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم﴾ [النساء/ ١٠٢]. والمراد بالسجود: الركعة التي يفعلونها وحدهم بعد مفارقتهم للإمام، وما قبل القراءة من تكبير واستفتاح واستعاذة هي

---

(١) من بداية هذا الفصل إلى نهاية الرسالة نقله في الفتاوى إلى قسم التفسير ١٤/ ٥ـ٣٦.

(٢) في (ب) الصلوات.

kutub-pdf.net

تحريم للصلاة ومقدمة لما بعده، أول ما يبتدأ به لتقدمه، وما يفعل بعد السجود من قعود وتشهد فيه التحية لله والسلام على عباده الصالحين والدعاء والسلام على المخاطبين فهو تحليل للصلاة ومعقبة لما قبله، قال النبي ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»[١].

ولهذا تنازع الناس[٢]: أيهما أفضل: كثرة الركوع والسجود، أو طول القيام، أو هما سواء؟ على ثلاثة أقوال عن أحمد وغيره، وكان الصحيح أنهما سواء، القيام فيه أفضل الأذكار، والسجود أفضل الأَعمال؛ فاعتدلا.

ولهذا كانت صلاة رسول الله ﷺ معتدلة يجعل الأَركان قريباً من السواء، إذا أطال القيام طولاً كثيراً كما كان يفعل في قيام الليل وصلاة الكسوف أطال معه الركوع والسجود، وإذا اقتصد فيه اقتصد في الركوع والسجود.

وأم الكتاب كما أنها القراءة الواجبة في الصلاة فهي أَفضل سورة في القرآن، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لم ينزل في التوراة ولا

---

(١) رواه أبو داود رقم (٦١) في الطهارة باب فرض الوضوء، والترمذي رقم (٣) في الطهارة باب ما جاء في أن مفتاح الصلاة الطهور، عن علي رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن، وصححه الشيخ ناصر الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٣).

(٢) كذا في المخطوطتين، وفي الفتاوى: تنازع العلماء.

kutub-pdf.net

الإنجيل ولا الزبور ولا القرآن مثلها، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»[١].

وفضائلها كثيرة جداً، وقد جاء مأثوراً عن الحسن البصري رواه ابن أبي حاتم وغيره[٢] : ([أن الله][٣] أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، جمع علمها في الأَربعة، [وجمع][٤] علم الأَربعة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصل، [وجمع][٥] علم المفصل في أم القرآن، [وجمع][٦] علم أم القرآن في هاتين الكلمتين الجامعتين ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، وأَن علم الكتب المنزلة من السماء اجتمع في هاتين الكلمتين)[٧].

ولهذا ثبت في الحديث الصحيح، حديث قسمة الصلاة، أن الله تعالى يقول: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي

---

(١) رواه مالك في الموطأ ١/ ٨٣ من رواية أبي سعيد بن المعلا مرسلاً، ووصله الحافظ ابن عبدالبر في التمهيد ٢٠/ ٢١٨، وأخرجه الترمذي رقم [٢٨٧٥]، والحاكم ١/ ٥٥٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) كذا في المخطوطتين: (ابن أبي حاتم) وجاء في الفتاوى ١٤/ ٧، وفي الطبعة المصرية٩٥، ودقائق التفسير ١/ ١٧٦، والتفسير الكبير ٢/ ٣٠١: (ابن ماجه). وقد ذكره ابن القيم في تفسير الفاتحة ص٦١ بدون عزو، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٦ للبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٠٨ ولم أجده في مظانه في سنن ابن ماجه.

(٣) ليست في (ب).

(٤) و (٥) و (٦): في (ب) جميع.

(٧) كتب هنا في حاشية (أ) : فائدة ومطلب مهم.

kutub-pdf.net

ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (الحمد لله رب العالمين) قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال الله: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: (مالك يوم الدِّين) قال الله: مجدني عبدي، وفي رواية: فوَّض إليّ عبدي، وإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين) قال: فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، [فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل][(١)]»[(٢)].

فقد ثبت بهذا النص أن السورة [قسمت][(٣)] بين الله وبين عبده، وأن هاتين الكلمتين مقسم السورة، فإياك نعبد مع ما قبله لله، وإياك نستعين مع ما بعده للعبد وله ما سأل. ولهذا قال من قال من السلف: نصفها ثناء ونصفها مسألة، فكل واحد من العبادة والاستعانة دعاء.

وإذا كان الله قد فرض علينا أن نناجيه وندعوه بهاتين الكلمتين في كل صلاة فمعلوم أن ذلك يقتضي أنه فرض علينا أن نعبده وأن نستعينه؛ إذ إيجاب القبول الذي هو إقرار واعتراف ودعاء وسؤال هو إيجاب لمعناه، ليس إيجاباً لمجرد لفظ لا معنى له، فإن هذا لايجوز أن يقع، بل إيجاب ذلك أبلغ من [إيجاب][(٤)] مجرد العبادة والاستعانة، فإن ذلك قد يحصل

---

(١) زيادة من (ب) و (ف).

(٢) رواه مالك في الموطأ ١/ ٨٤ ــ ٨٥، ومسلم رقم (٣٩٥)، وأبو داود رقم (٨٢١)، والترمذي رقم (٢٩٥٣)، والنسائي ٢/ ١٠٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (ب) مقسمة.

(٤) ليست في (ب).

kutub-pdf.net

أصله بمجرد القلب، أو القلب والبدن، بل أوجب دعاء الله ومناجاته وتكليمه ومخاطبته بذلك، ليكون الواجب من ذلك كلاماً صورة ومعنى بالقلب وسائر الجسد.

وقد جمع بين هذين الأَصلين الجامعين إيجاباً وغير إيجاب في مواضع، كقوله في آخر سورة هود: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [هود/ ١٢٣]. وقول العبد الصالح شعيب عليه السلام: ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [هود/ ٨٨]. وقول إبراهيم والذين معه: ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [الممتحنة/ ٤]. وقوله سبحانه إذ أمر رسوله أن يقول: ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ [الرعد/ ٣٠]. فأمر نبيه أن يقول: على الرحمن توكلت وإليه متاب، كما أمر بهما في قوله: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ والأَمر له أمر لأُمته، وأمره بذلك في أم القرآن وفي غيرها لأُمته[(١)]؛ ليكون فعلهم [ذلك][(٢)] طاعة لله وامتثالاً لأَمره، لا تقدماً بين يدي الله ورسوله، ولهذا كان عامة ما يفعله نبينا ﷺ والخالصون من أمته من الأَدعية والعبادات وغيرها إنما هو بأمر من الله، بخلاف من يفعل ما لم يؤمر به وإن كان حسناً أو عفواً.

وهذا آخر الأَسباب الموجبة لفضله وفضل أمته على من سواهم،

(١) في هذه العبارة إجمال، ولعل الصحيح: وأمره بذلك في أُمِّ القرآن وفي غيرها أمر لأُمته.

(٢) زيادة من (ب).

kutub-pdf.net

وفضل الخالصين من أمته على المشوبين الذين شابوا ما جاء به بغيره، كالمنحرفين عن الصراط المستقيم، وإلى هذين الأَصلين كان النبي ﷺ يقصد في عبادته وأَذكاره ومناجاته، مثل قوله في الأُضحية: «اللهم منك ولك»[١] فإن قوله: (منك) هو معنى التوكل والاستعانة، وقوله: (لك) هو معنى العبادة.

ومثل قوله في قيامه من الليل: «اللهم لك أَسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، أَعوذ بعزتك لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لايموت، والجن والإنس يموتون»[٢] إلى أمثال ذلك.

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧٩٥) من حديث جابر رضي الله عنه، وذكره الشيخ ناصر الألباني في ضعيف سنن أبي داود رقم (٢٧٩٥).

(٢) رواه البخاري ١٣/ ٣٨٠ رقم (٧٣٨٣)، ومسلم رقم (٢٧١٧)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

kutub-pdf.net

الإنسان بين العبادة والاستعانة

إذا تقرر هذا الأَصل فالإنسان في هذين الواجبين لا يخلو من أحوال أربعة هي القسمة الممكنة: إما أن يأتي [بهما][١]، وإما أن يأتي بالعبادة فقط، وإما أن يأتي بالاستعانة فقط، وإما أن يتركهما جميعاً. ولهذا كان الناس في هذه الأَقسام الأَربعة، بل أهل الديانات هم أهل هذه الأَقسام، وهم المقصودون هنا بالكلام:

□ **قسم يغلب عليه التألُّه :**

قسم يغلب عليه قصد التأله لله، ومتابعة الأَوامر والنهي، والإخلاص لله تعالى، واتباع الشريعة في الخضوع لأَوامره وزواجره وكلماته [الدينيات][٢]، لكن يكون منقوصاً من جانب الاستعانة والتوكل فيكون إما عاجزاً وإما مفرطاً، وهو مغلوب [إما مع عدوه الباطن][٣] وإما مع عدوه الظاهر، وربما يكثر فيه الجزع مما يصيبه والحزن مما يفوته، وهذه حال كثير ممن يعرف شريعة الله وأمره، ويرى أنه متبع للشريعة وللعبادة الشرعية، ولا يعرف قضاءه وقدره وهو حسن القصد طالب للحق، لكنه غير عارف بالسبيل الموصلة والطريق المفضية.

---

(١) في (أ) بها، وفي (ب) و(ف) بهما. وهو الصحيح.

(٢) في (ف) الكونيات.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

kutub-pdf.net

□ **قسم يغلب عليه الاستعانة والتوكل :**

وقسم يغلب عليه قصد الاستعانة بالله والتوكل عليه، وإظهار الفقر والفاقة بين يديه، والخضوع لقضائه وقدره وكلماته الكونية، لكن [يكون][١] منقوصاً من جانب العبادة وإخلاص الدِّين لله، فلا يكون مقصوده أن يكون الدِّين كله لله، وإن كان مقصوده ذلك فلا يكون متبعاً لشريعة الله ومنهاجه، بل قصده نوع سلطان في العالم، إما سلطان قدرة وتأثير، وإما سلطان كشف [وإخبار][٢]، أو قصده طلب ما يريده ودفع ما يكرهه بأي طريق كان، أو مقصوده نوع عبادة وتأله بأي وجه كان، [وهمته][٣] في الاستعانة والتوكل المعينة [له][٤] على مقصوده، فيكون إما جاهلاً وإما ظالماً تاركاً لبعض ما أمره الله، [راكناً][٥] لبعض ما نهى الله عنه، وهذه حال كثير ممن يتأله ويتصوف ويتفقر، ويشهد قدرة الله وقضاءه، ولا يشهد أمر الله ونهيه، ويشهد قيام الأكوان بالله وفقرها إليه وإقامته لها، ولا يشهد [ما أمر به][٦]، ما الذي يحبه الله له، وما الذي نهاه الله عنه، ولهذا يكثر في هؤلاء من له كشف وتأثير وخرق [للعادة][٧] مع انحلال عن بعض الشريعة، ومخالفة

(١) ليست في (ب).
(٢) في (ب): كشف أخبار.
(٣) في (ب) و (ف) همته.
(٤) ليست في (أ) وأثبتها من (ب) و(ف).
(٥) في (ب) و (ف) راكباً.
(٦) في (ب) ولا يشهد ما أمر الله به.
(٧) في (ب) عادة.

kutub-pdf.net

لبعض الأمر، وإذا أوغل الرجل منهم [دخل][١] في الإباحة والانحلال، وربما صعد إلى فساد التوحيد فيجمع بين [الإباحة][٢] والحلول المقيد.

كما وقد وقع لكثير من الشيوخ، ويوجد في كلام صاحب منازل السائرين[٣][٤] وغيره ما يفضي إلى ذلك، وقد يدخل قوله في الاتحاد والحلول المطلق والقول بوحدة الوجود، فيعتقد أن الله هو الوجود المطلق، فيقول كما قال صاحب الفتوحات المكية[٥] في أولها:

الرب حق [والعبد حق][٦] يا ليت شعري من المكلف

---

(١) ليست في (ب).

(٢) في (ب) الاتحاد، وفي (ف) فيخرج إلى الاتحاد والحلول.

(٣) هو محمد بن عبدالله الأنصاري أبو إسماعيل الهروي المتوفى سنة ٤٨١، وكان إماماً في السنة على تصوف منه، انظر ترجمته في السير ١٨/ ٥٠٣، وكتابه (منازل السائرين) في السلوك وفيه تصوف، وقد شرحه ابن القيم في كتابه: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» وقد تعقب ابن القيم رحمه الله في شرحه ما فيه من مخالفة المنهج الحق؛ وانتقده انتقاداً جيداً رصيناً كما هو دأبه رحمه الله في سائر تواليفه.

(٤) نسبه الدكتور (الجليند) إلى أبي ذر الهروي عبد بن أحمد المتوفى سنة ٤٣٤هـ. وهو خطأ ظاهر.

(٥) هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي المرسي المعروف بابن العربي، شيخ الصوفية وقدوة أهل الوحدة «يعني القول بوحدة الوجود، وهي من مقالات أهل الضلال، نسأل الله العافية والسلامة»، مات سنة ٦٣٨هـ. انظر ترجمته في السير ٢٣/ ٤٨، وتأريخ الإسلام وفيات ٦٣٨ ص٣٥٢، وانظر: مصرع التصوف، تحقيق عبدالرحمن الوكيل.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) وموجود في بقية النسخ.

kutub-pdf.net

إن قلت عبد فذاك ميت　　　أو قلت رب أنّى يكلف(١)

□ قسم معرض عن الواجبين العبادة والاستعانة :

وقسم ثالث معرض عن عبادة الله وعن الاستعانة [به](٢) جميعاً، وهم فريقان: أهل دين، وأَهل دنيا، فأهل الدِّين منهم أهل الدين الفاسد الذين يعبدون غير الله، ويستعينون غير الله بظنهم وهواهم: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأَنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾[النجم/ ٢٣].

وأهل الدنيا منهم الذين [يطلبون](٣) ما يشتهون من العاجلة بما يعتقدونه من الأَسباب.

واعلم أنه [يجب](٤) التفريق بين من قد يعرض عن عبادة الله والاستعانة به، وبين من يعبد غيره ويستعين بسواه.

---

(١) الفتوحات المكية ١ ـ ٢ طبع بولاق، نقلاً عن الطبعة المصرية.

(٢) ليست في (ب).

(٣) في (ب) يظنون. وهو خطأ.

(٤) ساقطة من الطبعة المصرية. وهو خطأ.

kutub-pdf.net

فصـــل[١]

(في معنى الحمد لله رب العالمين)

قـال الله تعـالـى فـي أول السـورة: ﴿الحمـد لله رب العـالميـن﴾ [الفاتحة/ ٢]. فبدأ [بهـذين][٢] الاسمين: الله والـرب، والله هو الإلـه المعبود، فهذا الاسم أَحق بـالعبادة، ولهذا يقال: الله أكبـر، الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله. والـرب هو المربـي الخالق الرازق النـاصر الهادي، وهـذا الاسم أَحق [باسم][٣] الاستعانة والمسألة.

ولهـذا يُقال: ﴿رب اغفـر لي ولوالـدي﴾[٤] [نوح/ ٢٨]. ﴿ربنا ظلمنـا أنفسنا وإن لـم تغفر لنـا وترحمنـا لنكونن مـن الخاسـرين﴾ [الأعراف/ ٢٣]. ﴿ربِ إني ظلمت نفسي فـاغفر لي﴾ [القصص/ ١٦]. ﴿ربنا اغفـر لنا ذنـوبنا وإسرافنا في أمرنا﴾ [آل عمران/ ١٤٧]. ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

فعـامة المسـألة والاستعـانة المشـروعـة باسم الـرب، فـالاسم الأَول يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه وما خلق لـه وما فيه صلاحه وكماله وهو

---

(١) في حاشية (أ) كتب: قف.

(٢) في (أ) بين هذين. وهو خطأ.

(٣) ساقطة من (أ) وأثبتها من (ب) و (ف).

(٤) من دعاء نوح عليه السلام.

kutub-pdf.net

عبادة الله.

والاسم الثاني: يتضمن خلق العبد ومبتداه وأنه يربيه ويتولاه، مع أن الثاني يدخل في الأول دخول الربوبية في الألوهية، والربوبية تستلزم الألوهية أيضاً.

والاسم [الثالث][(١)] الرحمن، كمال التعليقين [ووصف][(٢)] الحالين، فيه تتم سعادته في دنياه وأخراه، ولهذا قال: ﴿...وهم يكفرون بالرحمن. قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ [الرعد/ ٣٠]. فذكر هنا الأسماء الثلاثة (الرحمن) و(ربي) و(الإله)، وقال: ﴿عليه توكلت وإليه متاب﴾ كما ذكر الأسماء الثلاثة في أم القرآن لكن بدأ هنا باسم الله، ولهذا بدأ في السورة: بإياك نعبد، فقدم الاسم وما يتعلق به من العبادة؛ لأن تلك السورة فاتحة الكتاب وأم القرآن فقدم منها المقصود الذي هو العلة الغائية، فإنها [علة فاعلية للعلة الفاعلية][(٣)]، [وقد بسطت هذا المعنى][(٤)] في مواضع، في أول التفسير[(٥)]، وفي قاعدة المحبة والإرادة[(٦)].

---

(١) علقت في حاشية (أ) وكتب عليها: صح، وهي موجودة في (ب) وليست موجودة في (ف).

(٢) في (ف) بوصف.

(٣) اختلفت النسخ في هذه العبارة، فالمثبت من (أ)، وجاء في الفتاوى: فإنها علة فاعلية للعلة الغائية. وفي (ب): الذي هو العلة الغائية، فإنها علة فاعلية للعلة الفاعلية.

(٤) في (ب): وقد بسطت هذا والإرادة في ذلك.

(٥) لم أجد ما يشير إليه الشيخ رحمه الله في القسم المطبوع من تفسيره.

(٦) لشيخ الإسلام «قاعدة في المحبة» طبعت ضمن «جامع الرسائل لابن تيمية» المجموعة الثانية بتحقيق الدكتور محمد رشاد، وانظر ما يحيل إليه أيضاً في رسالته «الإرادة والأمر» ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية، طبع محمد على صبيح.

kutub-pdf.net

فصـــل

(إقرار الناس بتوحيد الربوبية أسبق وأكثر من الإقرار بتوحيد الإلهية)

ولما كـان علم النفـوس بحاجتهم وفقـرهم إلى الـرب قبل علمهم بحاجتهم إلى الإلـه المعبود وقصدهم لـدفع [حاجتهم][١] العاجلة قبل الآجلة؛ كـان إقرارهم بـالله من جهة ربوبيتـه [أسبق][٢] من إقـرارهم من جهة ألوهيتـه، وكان الدعاء لـه والاستعانة والتوكـل عليه [منهم][٣] أكثر من العبادة له والإنـابة إليه، ولهذا إنما بعث الرسل يـدعونهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له الذي هو المقصود المستلزم للإقرار بالربوبية.

وقـد أخبـر عنهم أنهـم ﴿لئن سألتهـم من خلقهـم ليقـولن الله﴾، وأنهم (إذا مسهم الضـر ضل من يـدعون إلا إياه) وقـال: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين...﴾[٤].

[فأخبـر أنهم مقرون بـربوبيته وأنهـم مخلصون له الـدِّين][٥] وإذا مسّهم الضر فـي دعائهم واستعانتهم، ثم يعـرضون عن عبادتـه في حال

(١) في (ب) حاجاتهم.

(٢) في (ب) اشتق وهو خطأ.

(٣) في (ب) فيهم، وكتب في الحاشية: لعله: منهم.

(٤) لقمان آية ٣٢. وقد جاءت في المخطـوطتين: (وإذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين..) ولم ترد هكذا في القرآن وقد صححتها، كما صححت في الفتاوى.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).

kutub-pdf.net

حصول أغراضهم.

وكثير من المتكلمين إنما [يقررون][١] الوحدانية من جهة الربوبية، فأما الرسل فهم دعوا إليها من جهة الألوهية، وكذلك كثير من المتصوفة المتعبدة أرباب الأحوال إنما توجههم إلى الله من جهة ربوبيته؛ لما يمدهم به في الباطن من الأحوال التي بها يتصرفون، وهؤلاء من جنس الملوك، وقد ذم الله في القرآن هذا الصنف كثيراً.

فتدبّر هذا فإنه ينكشف به أحوال قوم يتكلمون في الحقائق ويعملون عليها، وهم لعمري في نوع [من][٢] الحقائق الكونية القدرية الربوبية، لا في الحقائق الدينية الشرعية الإلهية، وقد تكلمت على هذا المعنى في مواضع متعددة[٣] ، وهو أصل عظيم يجب الاعتناء به. والله سبحانه أعلم.

---

(١) في (أ) يقرون. وما أثبته من (ب) وبقية النسخ وهو أصح.

(٢) ليست في (أ) وهي في (ب) و (ف).

(٣) انظر على سبيل المثال ١١/ ٢٥١ وما بعدها، ١٠/ ١٤٩ وما بعدها، ٨/ ٥٨ وما بعدها، من مجموع الفتاوى، وانظر الرسالة التدمرية، كلها لشيخ الإسلام.

kutub-pdf.net

فصـــــل

(الإنسان وجميع المخلوقات عبيد لله)

متصل بالذي قبله، وذلك أن الإنسان بل وجميع المخلوقات عباد لله تعالى فقراء إليه مماليك له، وهو ربهم ومليكهم وإلههم، لا إله إلا هو.

فالمخلوق ليس له من نفسه [شيء أصلاً، بل نفسه][1] وصفاته وأفعاله وما ينتفع به أو يستحقه وغير ذلك إنما هو من خلق الله، [والله][2] رب ذلك كله ومليكه وبارئه وخالقه ومصوره؛ وإذا قلنا: ليس له من نفسه إلا العدم؛ فالعدم ليس هو شيئاً يفتقر إلى فاعل موجود، بل العدم ليس بشيء، وبقاؤه مشروط بعدم فعل الفاعل؛ لأن عدم الفاعل يوجبه ويقتضيه، كما يوجب الفاعل المفعول الموجود، بل قد يضاف عدم المعلول إلى عدم العلة وبينهما فرق.

وذلك المفعول الموجود إنما خلقه وأبدعه الفاعل، وليس المعدوم أبدعه عدم الفاعل، فإنه يفضي إلى التسلسل والدور؛ لأنه ليس اقتضاء أحد العدمين للآخر بأولى من العكس، فإنه ليس أحد العدمين مميزاً بحقيقة استوجب بها أن يكون فاعلاً، وإن كان يعقل أن

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٢) ساقطة من (ب).

kutub-pdf.net

عدم المقتضى أولى بعدم الأَثر من العكس، فهـذا لأَنه لما كان موجود المقتضى هو [المفيد][١] لوجود المقتضى؛ صار العقل يضيف عدمه إلى عدم إضافـة لزومية؛ لأن عدم الشيء إمـا أن يكون لعدم المقتضى [أو لوجود المـانع بعد قيام المقتضى][٢]، لا يتصور أن يكون العدم إلا [لأحد][٣] هاتين.

فلما كـان الشيء الـذي انعقد سبب وجـوده [بعدمـه][٤] المانع المنافـي، وهو أمر مـوجود، وتارة لا يكـون سببه قـد انعقد؛ صار عـدمه تارة ينسب إلى عدم مقتضيه، وتارة إلى وجـود منافيه، وهذا معنى قول المسلمين: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».

فمشيئته [مـوجبة][٥] للكائنـات كلها، ومـا لم يَشَـأْهُ لم يكن، [إذ مشيئته هي الموجبة][٦]، فيلزم من انتفائها [..][٧] أن لايكون شيء حتى تكون مشيئته، لايكون شيء بدونهـا بحال، فليس لنا سبب يقتضي وجود شيء حتـى تكون مشيئتـه [..][٨] هي السبـب الكـامل، فمع وجـودهـا لامـانع ومع عـدمهـا لا مقتضى، ﴿مـا يفتح الله للنـاس مـن رحمة فـلا

---

(١) في (ب) المقيد.
(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٣) في (ب) لأجل.
(٤) في (ب) يعوقه.
(٥) ليست في (ب).
(٦) جاءت العبارة التي بين القوسين في الفتاوى هكذا: إذ مشيئته هي الموجبة وحدها لا غيرها.
(٧) في (ب) زيادة: انتفاؤه.
(٨) جاء بعدها في الفتاوى: مانعة من وجوده، بل مشيئته هي السبب الكامل.

kutub-pdf.net

ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾ [فاطر/ ٢]. ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾ [يونس/ ١٠٧].

﴿قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ [الزمر/ ٣٨].

□ **الإنسان ليس له من نفسه خير أصلاً :**

فإذاً عُرِفَ أن العبد ليس له من نفسه خير أصلاً، [بل][(١)] ما بنا من نعمة فمن الله، وإذا مسنا الضر فإليه نجأر، والخير كله بيديه، كما قال: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء/ ٧٩]. وقال: ﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ [آل عمران/ ١٦٥]. وقال النبي ﷺ في سيد الاستغفار الذي في صحيح البخاري: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[(٢)].

وقال في دعاء الاستفتاح الذي في صحيح مسلم: «لبيك وسعديك والخير بين يديك، والشر ليس إليك، تباركت وتعاليت»[(٣)].

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) البخاري رقم (٦٣٠٦) فتح، عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٣) مسلم رقم (٧٧١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حديث طويل.

kutub-pdf.net

□ **الشر إما موجود وإما معدوم :**

وذلك أن الشر إما أن يكون موجوداً أو معدوماً، فالمعدوم سواء كان عدم ذات، أو عدم صفة من صفات كمالها، أو فعل من أفعالها، مثل عدم الحياة أو العلم أو السمع أو البصر أو الكلام أو العقل، أو العمل الصالح على تنوع أصنافه، مثل: معرفة الله ومحبته وعبادته، والتوكل عليه، والإنابة إليه، ورجائه، وخشيته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وغير ذلك من الأُمور المحمودة الباطنة والظاهرة من الأَقوال والأَفعال، فإن هذه الأُمور كلها خيرات وحسنات، وعدمها شر وسيئات، لكن هذا العدم ليس بشيء أصلاً حتى يكون له بادئ فاعل فيضاف إلى الله، وإنما هو من لوازم النفس التي هي حقيقة الإنسان قبل أن تخلق وبعد أن خلقت، فإنها قبل أن تخلق عدم مستلزم لهذا العدم.

وبعد أن خلقت وقد خلقت ضعيفة ناقصة [فيها نقص][1]، والنقص والضعف والعجز فإن هذه أُمور عدمية فأضيفت إلى النفس من باب إضافة عدم المعلول إلى عدم علته وعدم مقتضيه، وقد يكون من باب إضافته إلى وجود منافيه من وجه آخر سنبينه إن شاء الله.

□ **الشر لا ينسب إلى الله :**

ونكتة الأمر أن هذا الشر والسيئات العدمية ليست موجودة حتى يكون الله خالقها فإنه خالق كل شيء، والمعدومات تنسب تارة إلى

---

(١) في (ب): فيها النقص والضعف والعجز..

kutub-pdf.net

عدم فاعلها وتارة إلى وجود مانعها، فلا تنسب إليه هذه الشرور العدمية على الوجهين، أما الأول فلأنه الحق المبين، فلا يُقال: عدمت؛ لعدم فاعلها أو مقتضيها، وأما الثاني وهو وجود المانع فلأن المانع إنما يحتاج إليه إذا وجد المقتضى، ولو شاء فعلها لما منعه مانع، وهو سبحانه لا يمنع نفسه ما شاء فعله؛ بل هو فعال لما يشاء، ولكن قد يخلق هو سبباً مقتضياً ومانعاً، فإن جعل السبب تاماً لم يمنعه شيء، وإن لم يجعله تاماً [منع][1] المانع [لضعف][2] السبب وعدم إعانة الله له، فلا يعدم إلا لأنه لم يشاؤه، كما لايوجد أمر إلا لأنه شاءه.

وإنما تضاف هذه السيئات العدمية إلى العبد؛ لعدم السبب منه تارة، ولوجود المانع منه أخرى، أما عدم السبب فظاهر، فإنه ليس منه قوة ولا حول ولا خير ولا سبب خير أصالة، ولو كان منه شيء لكان سبباً فأضيف إليه لعدم السبب، ولأنه قد صدرت منه أفعال كان سبباً لها بإعانة الله له، فما لم يصدر منه كان لعدم السبب.

وأما وجود المانع المضاد له المنافي فلأن نفسه قد تضيق [وتضعف][3] وتعجز أن تجمع بين أفعال ممكنة في نفسها متنافية في حقه، فإذا اشتغل بسمع شيء أو بصره أو الكلام في شيء والنظر فيه أو إرادته، فإذا اشتغلت جوارحه بعمل كثير اشتغلت عن عمل آخر.

---

(١) في (ب) منعه.

(٢) في (ب) الضعيف.

(٣) ليست في (ب).

kutub-pdf.net

فصار قيام إحدى الصفات والأَفعال بـه مانعاً وصاداً عن آخر، وإن كان ذلـك خيراً لضيقـه وعجزه، والضيق والعجـز يعود إلـى عدم قـدرته فعاد إلى العدم الذي هو منـه، والعدم المحض ليس بشيء حتى يضاف إلى الله تعالـى، وأما إن كان الشر مـوجوداً كالألـم وسبب الألم؛ فينبغي أن يعـرف أن الشر المـوجود ليس شـراً على الإطـلاق، ولا شراً محضـاً، وإنمـا هو شـر في حق مـن تألم بـه، وقد تكـون مصائب قـوم عند قـوم فوائد، ولهذا جاء في الحديث الذي رويناه[١]: «آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره»[٢].

وفي الحـديث الـذي رواه أبو داود: «لـو أنفقت مثل الأَرض ذهبـاً لما قبلـه منك حتى تـؤمن بالقـدر خيره وشـره، وتعلم أن ما أصـابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»[٣].

فالخيـر والشر همـا بحسب العبـد المضاف إليـه، كالحلـو والمر،

---

(١) في المطبوعات (مسلسلاً) وليست في المخطوطتين.

(٢) أورده ابن قدامـة في لمعة الاعتقاد ص٢٢ غيـر معزو، ولم أجده بهـذا اللفظ، وأقرب ما رأيته فـي ذلك ما جاء في رواية لحـديث جبريل المشهور في سؤالـه عن الإسلام والإيمـان والإحسان، وجـاء فيه: «... الإيمـان أن تؤمن بـالله وملائكتـه وكتبه ورسلـه وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله».
هـذه الروايـة أوردهـا الهيثمي فـي مجمع الـزوائد ١/ ٤١ عن ابـن عمر، وقـال: رواه الطبراني ورجاله موثقون.

(٣) أبو داود رقم (٤٦٩٩) في السنـة باب القدر، وابن ماجـه رقم (٧٧) وصححه الشيخ ناصر في صحيح أبي داود رقم (٤٦٩٩).

kutub-pdf.net

سواء ذلك أن من لم يتألم بالشيء ليس في حقه شراً، ومن تنعم به فهو في حقه خير، كما كان النبي ﷺ يُعَلِّمُ من قص عليه أخوه رؤيا أن يقول: «خيراً تلقاه، وشراً توقاه، خير لنا وشر لأعدائنا»[١].

فإنه إذا أصاب العدو شر يَسُرُّ [قلب][٢] عدوه؛ فهو خير لهذا وشر لهذا، ومن لم يكن له ولياً ولا عدواً فليس في حقه لا خيراً ولا شراً، وليس في مخلوقات الله سبحانه ما يؤلم الخلق كلهم دائماً، بل ولا ما يؤلم جمهورهم [دائماً، بل مخلوقاته إما منعمة لهم ولجمهورهم][٣] في أغلب الأوقات، كالشمس والعافية.

فلم يكن في الموجودات التي خلقها الله ما هو شر مطلقاً عاماً، فعلم أن الشر المخلوق الموجود شر مقيد خاص، وفيه وجه آخر هو به خير وحسن وهو أغلب وجهيه، كما قال تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ [السجدة/ ٧]. وقال تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ [النمل/ ٨٨]. وقوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ [الحجر/ ٨٥]. وقال تعالى: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ [آل عمران/ ١٩١].

---

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٧٢٧). قال محققه: إسناده ضعيف جداً.
(٢) في (ب) قلوب.
(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

kutub-pdf.net

□ **لم يخلق الله شيئاً إلا لحكمة :**

وقد علم المسلمون أن الله لم يخلق شيئاً إلا لحكمة، فتلك الحكمةَ وَجْهُ حُسْنِهِ وخيره، ولا يكون في المخلوقات شر محض لا خير فيه ولا [فائدة][(١)] فيه بوجه، وبهذا يظهر معنى قوله ﷺ: «... والشر ليس إليك»[(٢)].

وكون الشر وحده لم يضف إلى الله، بل إما بطرق العموم، أو يضاف إلى السبب أو يحذف فاعله، فهذا الشر الموجود الخاص المقيد سببه إما عدم وإما وجود؛ فالعدم مثل عدم [شرط][(٣)] وجزء سبب، إذ لايكون العدم سببه عدماً محضاً، فإن العدم المحض لايكون سبباً تاماً لوجود، ولكن يكون سبب الخير واللذة قد انعقد ولا يحصل الشرط فيقع الألم، وذلك مثل عدم فعل الواجبات الذي هو سبب [الذم والعقاب، ومثل عدم العلم الذي هو سبب ألم الجهل][(٤)]، وعدم السمع والبصر والنطق الذي هو سبب الألم[(٥)] بالعمى والصم والبكم، وعدم الصحة والقوة الذي هو سبب الألم بالمرض والضعف.

---

(١) في (ب) زيادة: ولا معنى فائدة.

(٢) جزء من حديث طويل تقدم تخريجه ص٧٢.

(٣) ليست في (ب).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٥) في (ب) ألم الجهل وعدم السمع والبصر والنطق الذي هو سبب الألم بالعمى.

kutub-pdf.net

فهذه المواضع ونحوها يكون الشر أيضاً مضافاً إلى العدم المضاف إلى العبد، حتى يتحقق قول الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء/ ٨٠]. فإن المرض وإن كان ألماً موجوداً فنسبة ضعف القوة وانتفاء الصحة الموجودة ـ وذلك عدم ـ هو من الإنسان المعدوم نفسه، ويتحقق قول الحق: ﴿.. وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء/ ٧٩]. وقوله: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ [آل عمران/ ١٦٥]. ونحو ذلك فيما كان سببه عدم فعل الواجب.

وكذلك [قول][١] الصحابي: «وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان»[٢].

تبين لك أن المحرمات[٣] جميعها من الكفر والفسوق والعصيان، إنما يفعلها العبد [بجهله][٤] أو لحاجته، فإنه إذا كان عالماً بمضرتها وهو غني عنها امتنع أن يفعلها، والجهل أصله عدم، والحاجة أصلها العدم، فأصل وقوع السيئات منه هو عدم العلم والغنى، ولهذا يقول في القرآن: ﴿.. ما كانوا يستطيعون السمع﴾ [هود/ ٢٠]. ﴿..أفلم تكونوا

---

(١) في (أ) أقوال الصحابة. وهو خطأ والمثبت من (ب) و (ف).

(٢) جزء من كلام لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه، رواه أحمد رقم (٤٠٩٩) تحقيق أحمد شاكر، وأبو داود رقم (٢١١٦)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٣) في (أ) المخلوقات. وكتب في الحاشية: عند: المحرمات.

(٤) في (أ) بجهله. والمثبت من (ب) و (ف) وهو أصح.

kutub-pdf.net

تعقلون﴾[1]، ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين. فهم على آثارهم يهرعون﴾ [الصافات/ ٦٩-٧٠]. إلى نحو هذه المعاني.

□ **الشر الذي سببه الوجود :**

وأما الوجود الذي هو سبب الشر الموجود الذي هو خاص كالآلام، مثل الأَفعال المحرمة من الكفر الذي هو تكذيب واستكبار، والفسوق الذي هو فعل المحرمات، ونحو ذلك، فإن ذلك سبب الذم والعقاب، وكذلك يتناول الأَغذية الضارة، وكذلك الحركات الشديدة المورثة للأَلم، فهذا الوجود لايكون وجوداً تاماً محضاً، إذ الوجود التام المحض لايورث إلا خيراً كما قلنا.

إن العدم المحض لا يقتضي وجوداً بل يكون وجوداً ناقصاً، إما في السبب، وإما في المحل، كما يكون سبب التكذيب عدم معرفةالحق والإقرار به، وسبب عدم هذا العلم والقول عدم أسبابه من النظر التام والاستماع التام لآيات الحق وأعلامه، وسبب عدم النظر والاستماع إما عدم المقتضى فيكون عدماً محضاً، وإما وجود مانع من الكبر والحسد في النفس ﴿والله لايحب كل مختال فخور﴾ وهو تصور باطل وسببه عدم غنى النفس بالحق، فتعتاض عنه بالخيال الباطل، والحسد أيضاً سببه عدم النعمة التي يصير بها مثل المحسود أو أفضل

---

(١) جزء من آية من سورة يس رقم ٦٢ وهي: ﴿ولقد أضل منكم جِبِلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾.

kutub-pdf.net

منه، فإن ذلك يوجب كراهية الحاسد لأَن يكافيه المحسود أو يتفضل عليه، وكذلك الفسوق كالقتل والزنا وسائر القبائح، إنما سببها حاجة النفس إلى الاستشفاء بالقتل، والالتذاذ بالزنا؛ وإلا فمن حصل غرضه بلا قتل أو نال اللذة بلا زنا لا يفعل ذلك.

والحاجة مصدرها العدم، وهذا يبين إذا تدبره الإنسان، أن الشر الموجود إن أضيف إلى عدم أو وجود فلابد أن يكون وجوداً ناقصاً، فتارة يضاف إلى عدم كمال السبب أو فوات الشرط، وتارة يضاف إلى وجود، ويعبر عنه تارة بالسبب الناقص والمحل الناقص، وسبب ذلك إما عدم شرط أو وجود مانع، والمانع لايكون مانعاً إلا لضعف المقتضى.

وكل ما ذكرته واضح بيّن إلا هذا الموضع ففيه غموض يتبين عند التأمل، وله طرفان:

أحدها: أن الموجود لايكون سببه عدماً محضاً.

والثاني: أن الموجود لايكون سبباً للعدم المحض.

وهذا معلوم بالبديهة أن الكائنات الموجودة لا تصدر إلا عن حق موجود، ولهذا كان معلوماً بالفطرة أنه لابد لكل مصنوع من صانع، كما قال تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ [الطور/ ٣٥]. يقول: أخلقوا من غير خالق خلقهم، أم خلقوا أنفسهم؟

ومن المتكلمين من استدل على هذا المطلوب بالقياس، وضرب

kutub-pdf.net

الأَمثال، والاستدلال عليه ممكن، ودلائله كثيرة، والفطرة عند صحتها أشد إقراراً به، وهو لها أبده، وهي إليه أشد اضطراراً من المثال الذي يُقاس به.

❑ **اختلاف الأُصوليين في العلة الشرعية :**

وقد اختلف أهل الأُصول في العلة الشرعية: هل يجو تعليل الحكم الوجودي بالوصف العدمي فيها؟ مع قولهم: إن العدمي يعلل بالعدمي، فمنهم من قال: يعلل به، [ومنهم من قال: لا يعلل به][1]، ومنهم [من فصّل فقال: لايجوز][2] أن يكون [علة][3] للوجود في قياس العلة، ويجوز أن تكون [علته][4] له في قياس الدلالة، فلا يضاف إليه في قياس الدلالة، وهذا فصل الخطاب وهو أن قياس الدلالة يجوز أن يكون العدم فيه علة وجزءاً من [علة][5]؛ لأن عدم الوصف قد يكون دليلاً على وصف وجودي يقتضي الحكم.

وأما قياس العلة فلا يكون العدم فيه علة تامة، ولكن يكون جزءاً من العلة التامة وشرطاً للعلة المقتضية التي ليست تامة؛ وقولنا: جزء من العلة التامة، هو معنى كونه شرطاً في اقتضاء العلة الوجودية

---

(١) في (ف) ومنهم من أنكر ذلك.

(٢) في (ف) فصل بين ما يجوز...

(٣) و (٤) و (٥) في (ب): علمه. وهو خطأ.

kutub-pdf.net

[وهذا][١] نزاع لفظي، فإذا حققت المعاني ارتفع، [فهذا][٢] في بيان أحد الطرفين وهو أن الموجود لايكون سببه عدماً محضاً.

وأما الطرف الثاني: فهو أن [الموجود][٣] لايكون سبباً لموجود يستلزم عدماً، فلأن العدم المحض لا يفتقر إلى سبب موجود بل يكفي فيه عدم السبب الموجود؛ لأن السبب الموجود إذا أثر فلابد أن يؤثر شيئاً، والعدم المحض ليس بشيء، فالأثر الذي هو عدم محض بمنزلة عدم الأثر، بل إذا أثر الإعدام ؛ فالإعدام أمر وجودي فيه عدم.

فإنَّ جَعْل الموجود معدوماً والمعدوم موجوداً أمر معقول، أما جَعْل المعدوم معدوماً فلا يعقل إلا بمعنى الإبقاء على العدم، والإبقاء على العدم يكفي فيه عدم الفاعل، والفرق معلوم بين عدم الفاعل وعدم الموجب وعدم العلة، وبين فاعل العدم وموجب العدم وعلة العدم، والعدم لا يفتقر إلى الثاني بل يكفي فيه الأول.

فتبيّن بذلك الطرفان، وهو أن العدم المحض الذي ليس فيه شوب [وجود][٤] لايكون وجوداً ما، لا سبباً ولا مسبباً، ولا فاعلاً ولا مفعولاً أصلاً، فالوجود المحض التام الذي ليس فيه شوب عدم لايكون

---

(١) في (ب) وهنا.

(٢) في (ب) فهذان. وهو خطأ.

(٣) في (ب) الوجود.

(٤) في المخطوطتين: لوجود. والمثبت من (ف) ولعله أصح.

kutub-pdf.net

سبباً لعدم أصلاً، ولا سبباً عنه ولا فاعلاً له ولا مفعولاً.

أما كونه ليس مسبباً عنه ولا مفعولاً له فظاهر، وأما كونه ليس سبباً له؛ فإن كان سبباً لعدم محض فالعدم المحض لا يفتقر إلى سبب موجود، وإن كان لعدمٍ فيه وجود فذلك الوجود لابد له من سبب، ولو كان سببه تاماً وهو قابل لما دخل فيه عدم؛ فإنه إذا كان السبب تاماً والمحل قابلاً وجب وجود المسبب، فحيث كان فيه عدم فالعدم في السبب أو في المحل، فلايكون وجوداً محضاً، فظهر أن السبب حيث تخلف حكمه: إن كان لفوات شرط فهو عدم، وإن كان لوجود مانع فإنما صار مانعاً لضعف السبب وهو أيضاً عدم قوته وكماله، فظهر أن الوجود ليس سبب العدم المحض.

فظهر بذلك القسمة الرباعية، وهو أن الوجود المحض لايكون إلا خيراً، [يبين][1] ذلك أن كل شر في العالم لا يخرج عن قسمين: إما ألم، وإما سبب الأَلم، وسبب الأَلم مثل الأَفعال [المسببة][2] المقتضية للعذاب، والأَلم الموجود لايكون إلا لنوع عدم، كما يكون سببه تفرق الاتصال، وتفرق الاتصال هو عدم التأليف والاتصال الذي بينهما وهو الشر والفساد، وأما سبب الأَلم فقد قررت في [قاعدة كبيرة][3] أن أصل

---

(١) في (ب) بين.

(٢) كذا في المخطوطتين، وفي (ف) السيئة.

(٣) في (ب) عظيمة، كبيرة.

kutub-pdf.net

الذنوب هو عدم الواجبات لا فعل المحرمات، [وأن فعل المحرمات][(١)] إنما وقع لعدم الواجبات، فصار أصل الذنوب عدم [الواجب][(٢)]، وأصل الألم عدم [الاتصال][(٣)].

ولهذا كان النبي ﷺ يعلمهم في خطبة الحاجة أن يقولوا: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا»[(٤)][(٥)]، [فيستعيذ][(٦)] من شر النفس الذي ينشأ عن ذنوبها وخطاياها، ويستعيذ من سيئات الأعمال التي هي عقوباتها وآلامها، فإن قوله: «ومن سيئات أعمالنا» قد يراد به السيئات من الأَعمال، وقد يُراد به العقوبات، فإن لفظ السيئات في كتاب الله يراد به ما يسوء الإنسان من الشر، وقد يراد به الأَعمال السيئة.

قال تعالى: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ [آل عمران/ ١٢٠]. وقال: ﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ [الروم/ ٣٦].

---

(١) ما بين القوسين ليس في (ب).

(٢) في (ف) الواجبات.

(٣) كذا في المخطوطتين، وفي (ف) الصحة.

(٤) وقع في (أ) خطأ وقد صححته من (ب) و(ف).

(٥) خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، رواها الترمذي في جامعه رقم (١١٠٥) وابن ماجه رقم (١٨٩٢)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وقال الترمذي: إسناده حسن. وقد جمع الشيخ ناصر الدين الألباني طرق وروايات أحاديث خطبة الحاجة في رسالة مستقلة، وهي مطبوعة.

(٦) كذا في جميع النسخ (فيستعيذ) ولعل الصحيح (فيستعيذوا).

kutub-pdf.net

ومعلوم أن شر النفس هو الأعمال السيئة، فتكون سيئات الأعمال الشر والعقوبة الحاصلة بها ليكون مستعيذاً من نوعي السيئات، الأعمال السيئة وعقوباتها؛ كما في الاستعانة المأمور بها في الصلاة: «أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»[١].

فأمرنا بالاستعاذة من عذاب الآخرة وعذاب البرزخ، ومن سبب العذاب: وهو فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، وذكر الفتنة الخاصة بعد الفتنة العامة فتنة المسيح الدجال فإنها أعظم الفتن، كما في الحديث الصحيح: «ما من خلق آدم إلى قيام الساعة [فتنة][٢] أعظم من فتنة المسيح الدجال»[٣].

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) ليست في (ب).

(٣) رواه مسلم رقم (٢٩٤٦) عن عمران بن حصين، ولفظه: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من المسيح الدجال» وفي رواية: «أمر أكبر من الدجال». قال النووي في شرحه ١٨/ ٨٧: المراد: أكبر فتنة وأعظم شوكة، وجاء في حديث طويل رواه ابن ماجه رقم (٤٠٧٧) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال...».

kutub-pdf.net

فصـــل
(العبد وكل مخلوق فقير إلى الله)

إذا ظهـر أن العبـد وكل مخلـوق فقيـر إلى الله محتـاج إليـه، ليس فقيراً إلى سواه، فليس هو مستغيناً بنفسه ولا بغير ربه فإن ذلك الغير فقير أيضـاً محتـاج، ومـن المأثـور عن أبـي يـزيـد[١] رحمـه الله أنـه قـال: «استغاثةالمخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق».

وعن أبي عبدالله القرشي[٢] أنه قال: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجـون بالمسجون» وهذا تقريب وإلا فهو كـاستغاثة العدم بالعـدم، فإن المستغاث به إن لـم يخلق الحق فيه قـوة [وحولاً][٣] وإلا فليس له مـن نفسه شيء، قال سبحـانه: ﴿من ذا الـذي يشفع عنده إلا بـإذنـه﴾ [البقـرة/ ٢٥٥]. وقـال تعـالـى: ﴿ولا يشفعـون إلا لمن ارتضـى﴾ [الأنبياء/ ٢٨]. وقال تعـالى: ﴿وما هم بضـارين به من أحـد إلا بإذن الله﴾ [البقرة/ ١٠٢].

---

(١) أبو يـزيد: طيفور بن عيسـى أبو يزيد البسطـامي، من كبار الصـوفية، له أخبـار كثيرة، توفي سنة ٢٦١هـ. (ميزان الاعتدال ٢/ ٣٤٦، وفيات الأعيان ٢/ ٥٣١).

(٢) محمد بـن أحمد بن إبـراهيم الأنـدلسي الصوفي الـزاهد، تـوفي سنـة ٥٩٩. (العبر ٣/ ١٢٦، وفيات الأعيان ٤/ ٣٠٥).

(٣) في (ب) ولا حولا.

kutub-pdf.net

واسم العبد يتناول معنيين: أحدهما بمعنى العابد كرهاً، كما قال تعالى: ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً﴾ [مريم/ ٩٣]. وقال سبحانه: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ [آل عمران/ ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون. بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [البقرة/ ١١٦، ١١٧]. وقال سبحانه: ﴿ولله يسجد من في السموات والأَرض طوعاً وكرهاً﴾ [الرعد/ ١٥].

والثاني بمعنى العابد، وهو الذي يعبده ويستعينه، وهذا هو المذكور في قوله: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأَرض هوناً..﴾ [الفرقان/ ٦٣]. وقوله تعالى: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ [الإنسان/ ٦]. وقوله: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر/ ٤٢]. وقوله: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [ص/ ٨٣]. وقوله سبحانه: ﴿ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ [الزخرف/ ٦٨]. وقوله: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ [ص/ ٤٥]. وقوله: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم/ ١٠]. وقوله: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ [ص/ ٤٤]. وقوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء/ ١]. وقوله: ﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه﴾ [الجن/ ١٩].

وهذه العبودية قد يخلو الإنسان منها تارة، وأما الأولى [فوصف][1]

---

(١) في (ب) وقف.

kutub-pdf.net

لازم، إذا أريد بها جريان القدر عليه وتصريف الخالق له.

(١) فإن فقر المخلوق له وعبوديته أمر ذاتي له، ولا وجود له بدون ذلك، والحاجة ضرورية لكل المصنوعات المخلوقات.

(١) وقع هنا في المخطوطتين تقديم وتأخير واختلاف عن نص الفتاوى، وزيادات في نص الفتاوى، وقد أثبت نص الفتاوى هنا تتميماً للفائدة: نص الفتاوى (١٤/ ٣٠): «...وتصريف الخالق له، قال تعالى: ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾ وعامة السلف على أن المراد بالاستسلام: استسلامهم له بالخضوع والذل، لا مجرد تصريف الرب لهم، كما في قوله: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ وهذا الخضوع والذل هو أيضاً لازم لكل عبد لابد له من ذلك، وإن كان قد يعرض له أحياناً الإعراض عن ربه والاستكبار، فلابد له عند التحقيق من الخضوع والذل له. لكن المؤمن يسلم له طوعاً فيحبه ويطيع أمره، والكافر إنما يخضع له عند رغبة أو رهبة، فإذا زال عنه ذلك أعرض عن ربه كما قال: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مرّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾ وقال: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إيّاه فلما نجّاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾. وفقر المخلوق وعبوديته أمر ذاتي لا وجود له بدون ذلك، والحاجة ضرورية لكل المصنوعات والمخلوقات، وبذلك هي أنها لخالقها وفاطرها إذ لاقيام لها بدونه، وإنما يفتقر الناس في شهود هذا الفقر والاضطرار وعزوبه عن قلوبهم. وأيضاً فالعبد يفتقر إلى الله من جهة أنه معبوده الذي يحبه حب إجلال وتعظيم، فهو غاية مطلوبه ومراده ومنتهى همته، ولا صلاح له إلا بهذا، وأصل الحركات الحب، والذي يستحق المحبة لذاته هو الله، فكل من أحب مع الله شيئاً فهو مشرك وحبه فساد؛ وإنما الحب الصالح حب الله والحب لله، والإنسان فقير إلى الله من جهة عبادته له، ومن جهة استعانته به، والاستسلام والانقياد لمن أنت إليه فقير وهو ربك وإلهك...».

kutub-pdf.net

وبذلك هي [آية][1] لخالقها وفاطرها؛ إذ لا قيام لها بدونه، وإنما يفترق الناس في شهود هذا الفقر والاضطرار وعزوبه عن قلوبهم، وفي الاستسلام والانقياد لمن أنت إليه فقير وهو ربك وإلهك، قال تعالى: ﴿أفغير دين الله يبغون. وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾ [آل عمران/ ٨٣]. وعامة السلف على أن المراد بالاستسلام استسلامهم له بالخضوع والذل، لا مجرد تصريف الرب لهم، كما في قوله: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ [الرعد/ ١٥].

وهذا الخضوع والذل هو أيضاً لازم لكل عبد لابد له من ذلك، وإن كان قد يعرض له أحياناً الإعراض عن ربه والاستكبار، فلابد له عند التحقيق من الذل والخضوع له.

وهذا العلم والعمل هو أمر فطري ضروري، فإن النفوس تعلم فقرها إلى خالقها، وتذل لمن افتقرت إليه، وغناه من الصمدية التي تفرد بها، فإنه ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ وهو شهود الربوبية بالاستعانة والتوكل والدعاء والسؤال، ثم هذا لا يكفيها حتى تعلم ما يصلحها من العلم والعمل، وذلك هو عبادته والإنابة إليه، فإن العبد إنما خلق لعبادة ربه، فصلاحه وكماله ولذته وفرحه وسروره في أن يعبد ربه وينيب إليه، وذلك قدر زائد على مسألته والافتقار إليه، فإن جميع الكائنات حادثة بمشيئته، قائمة بقدرته وكلمته، محتاجة إليه، فقيرة إليه،

---

(١) في (ف) أنها. وما أثبته من المخطوطتين ولعله الصحيح.

kutub-pdf.net

مسلمة لـه طوعاً وكـرهاً، فإذا شهد العبـد ذلك وأسلم له وخضـع؛ فقد آمن بربوبيته ورأى حاجتـه وفقره إليه وصار سائلاً له متوكلاً عليـه مستعيناً به، إما بحاله وإما بمقاله، بخلاف المستكبر عنه المعرض عن مسألته.

❑ **أنواع سؤال العبد ربه :**

ثم هذا المستعين به السـائل، إما أن يسأل ما هو مأمور بـه، أو ما هو منهي عنه، أو ما هـو مباح له؛ فالأول حال المؤمنين السعـداء الذين حالهم ﴿إيَّاك نعبد وإياك نستعين﴾.

والثاني حـال الكفار والفسّاق والعصـاة الذين فيهم إيمان وإن كـانوا كفـاراً كمـا قـال تعـالى: ﴿ومـا يـؤمـن أكثـرهم بـالله إلا وهـم مشـركـون﴾ [يوسف/١٠٦]. فهم مؤمنون بـربوبيته مشركون في عبادتـه، كما قال النبي ﷺ لحصين الخـزاعي: «يا حصيـن كم إلهاً تعبـد؟ قال: سبعـة آلهة، ستـة في الأَرض وواحـد في السماء. قـال: فما الـذي تعده لـرغبتك ورهبتك. قـال: الذي في السماء. قال: أسلم حتى أعلمـك كلمة ينفعك بها، فأسلم فقال: قل: اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي» رواه الإمام[1] أحمد[2] وغيره.

---

(١) كررت في الأَصل.

(٢) هذه الروايـة للترمذي في جـامعه رقم (٣٤٨٣)، ولم أجده بهـذا اللفظ في المسند. ورواه الإمـام أحمد ٤/ ٤٤٤، والنسـائي في عمل اليـوم والليلة رقم (٩٩٣ ــ ٩٩٤) بإسنـاد آخر واختـلاف في الـرواية، وقـال الحافـظ ابن حجـر في الإصابـة ٢/ ٢٧٥: إسناده صحيح، وقال الترمذي في روايته: حسن غريب.

kutub-pdf.net

ولهذا قال سبحانه: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ [البقرة/١٨٦]. أخبر سبحانه أنه قريب من عباده [يجيب][1] دعوة الداع إذا دعاه، فهذا إخبار عن ربوبيته لهم وإعطائه سؤلهم وإجابته دعاءهم، فإنهم إذا دعوه فقد آمنوا بربوبيته لهم، وإن كانوا مع ذلك كفاراً من وجه آخر أو فساقاً أو عصاة. قال تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾ [الإسراء/٦٧]. وقال تعالى: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مَرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ [يونس/١٢]. ونظائره في القرآن كثيرة.

ثم أمرهم بأمرين فقال: ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ فالأول: أن يطيعوه فيما أمرهم به من العبادة والاستعانة، والثاني: الإيمان بربوبيته وألوهيته وأنه ربهم وإلههم، ولهذا قيل: إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد وعن كمال الطاعة؛ لأنه عقب آية الدعاء بقوله: ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾ فالطاعة والعبادة هي مصلحة العبد التي فيها سعادته ونجاته، وأما إجابة دعائه وإعطائه سؤله فقد يكون منفعة وقد يكون مضرة. قال تعالى: ﴿ويدع الإنسان

---

(١) في (ب) مجيب.

kutub-pdf.net

بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً﴾ [الإسراء/ ١١]. وقال تعالى: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم﴾ [يونس/ ١١]. وقال تعالى عن المشركين: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال/ ٣٢]. وقال: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم﴾ [الأنفال/ ١٩]. وقال: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لايحب المعتدين﴾ [الأعراف/ ٥٥]. وقال: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه.﴾.. الآية [الأعراف/ ١٧٥، ١٧٦]. وقال: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ [آل عمران/ ٦١].

وقال النبي ﷺ لما دخل على أهل جابر فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»[1].

---

(١) جزء من حديث طويل رواه مسلم رقم (٩٢٠) كتاب الجنائز باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضِر، عن أم سلمة رضي الله عنها.

تنبيه : قول الشيخ رحمه الله: لما دخل على أهل جابر، لعله سهو منه. فإن الوارد في الحديث: دخل على أبي سلمة.

kutub-pdf.net

فصـــل

(العبد فقير إلى الله في ما يصلحه ويقصده)

فالعبد كما أنه فقير إلى الله دائماً في إعـانته، وإجابة دعوته، وإعطائه سؤله، وقضـاء حوائجه، فهو فقير إليـه في أن يعلم ما يصلحه ومـا هو الذي يقصده ويـريده، وهذا هـو الأمر والنهي والشـريعة، وإلا فإذا قضيت حـاجته التي طلبهـا وأرادها ولم تكن مصلحـة له، كـان ذلك ضرراً عليـه، وإن كان في الحال له فيه لذة ومنفعة، فالاعتبار بالمنفعة الخالصة أو الراجحة.

وهذا قد عـرّفه الله عباده برسلـه وكتبه، علموهم وزكّوهم وأمـروهم بما ينفعهـم ونهـوهم عمـا يضـرهم، وبينـوا لهم أن مطلـوبهم ومقصـودهـم ومعبـودهم يجب أن يكـون هو الله وحـده لا شريـك له، كمـا أنه هـو ربهم وخالقهم ، وأنهـم إن تركوا عبادتـه أو أشركوا بـه غيره خسروا خسرانـاً مبيناً، وضلوا ضـلالاً بعيداً، وكـان ما أوتوه من قـوة ومعرفـة [وجاه][1] ومال وغير ذلك، وإن كانوا فيـه فقراء إلى الله مستعينين به عليه، مقرين بربـوبيته؛ فإنه ضرر عليهـم ولهم بئس المصير وسـوء الدار، وهذا هـو الذي تعلّق بـه الأمر الدينـي الشرعي والإرادة الـدينية الشـرعية، كمـا تعلق بـالأول الأمر الكـوني القـدري والإرادة الكـونيـة القـدريـة، والله سبحانه قد أنعم على المؤمنين

---

(١) في (ب) ورجاه. وهو خطأ.

kutub-pdf.net

بالإعانة والهداية، فإنه بيّن لهم هداهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأعانهم على اتباع ذلك علماً وعملاً، كما مَنَّ عليهم وعلى سائر الخلق بأن خلقهم ورزقهم وعافاهم، ومَنَّ على أكثر الخلق بأن عرفهم ربوبيته لهم وحاجتهم إليه، وأعطاهم سؤلهم وأجاب دعاءهم، قال تعالى: ﴿يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن/ ٢٩]. فكل أهل السموات والأرض [يسألونه][(١)]، فصارت الدرجات أربعة:

قوم لم يعبدوه ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه [وقد خلقهم ورزقهم وعافاهم.

وقوم استعانوه فأعانهم ولم يعبدوه.

وقوم طلبوا عبادته وطاعته ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه][(٢)].

والصنف الرابع الذين عبدوه واستعانوه فأعانهم على عبادته وطاعته، وهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقد بيّن سبحانه ما خص به المؤمنين [في][(٣)] قوله: ﴿حبب إليكم الإيمان وزينه في

---

(١) في (ب) يسأله.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب) وهو في (أ) و (ف).

(٣) في المخطوطتين (من). وما أثبته من (ف) وهو أصح.

kutub-pdf.net

قلوبكم وكـره إليكم الكفر والفسـوق والعصيان أولئك هم الـراشدون﴾ [الحجرات/ ٧].

[آخر قاعدة التوحيد والحمد لله رب العالمين][١].

❑ ❑ ❑

(١) جاء فـي (ب): تمت بحمد الله وعـونه وحسن توفيقـه، وصلى الله على محمـد وآله ورضي عن أصحـابه أجمعين. وكتب في آخرهـا: بلغ مقابلة وتصحيحـاً على الأَصل بحسب الطاقة والإمكان سنة ١٣٣٧هـ.

kutub-pdf.net

kutub-pdf.net

الفهـــــارس

١ ـ فهرس الآيات
٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار
٣ ـ فهرس الموضوعات

kutub-pdf.net

kutub-pdf.net

فهـــرس الآيـــات

الآيـــة	رقمها	رقم الصحيفة
سورة الفاتحة :		
الحمد لله رب العالمين	١	٦٦
إياك نعبد وإياك نستعين	٥	٢٨، ٣١، ٥٢
سورة البقرة :		
وما هم بضارين به من أحد	١٠٢	٨٦
وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه	١١٦	٨٧
رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله	١٢٦	٤٧
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب	١٨٦	٩١
الله لا إله إلا هو الحي القيوم	٢٥٥	٣٥
من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه	٢٥٥	٨٦
لا يكلف الله نفساً إلا وسعها	٢٨٦	٣٧
ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا	٢٨٦	٣٧
سورة آل عمران :		
قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك	٢٦	٢٧
فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم	٦١	٩٢
أفغير دين الله يبغون وله أسلم	٨٣	٨٨
وله أسلم من في السموات	٨٣	٨٧

kutub-pdf.net

إن تمسسكم حسنة تسؤهم	١٢٠	٨٤
ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا	١٤٧	٦٦
قل هو من عند أنفسكم	١٦٠	٧٨
أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم	١٦٥	٧٢
ويتفكرون في خلق السموات والأرض	١٩١	٧٦
سورة النساء:		
ما أصابك من حسنة فمن الله	٧٩	٧٢
وما أصابك من سيئة فمن نفسك	٧٩	٧٨
فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم	١٠٢	٥٦
سورة الأنعام :		
لاأحب الآفلين	٧٦	٣٥
سورة الأعراف :		
ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا	٢٣	٦٦
ادعوا ربكم تضرعاً وخفية	٥٥	٩٢
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا	١٧٥	٩٢
سورة الأنفال :		
إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح	١٩	٩٢
وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق	٣٢	٩٢
سورة التوبة :		
ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولانصب	١٢٠	٣٦
سورة يونس :		
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم	١١	٩٢
وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه	١٢	٩١

kutub-pdf.net

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو	١٠٧	٧٢
سورة هود :		
ما كانوا يستطيعون السمع	٢٠	٧٨
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت	٨٨	٦٠
فاعبده وتوكل عليه	١٢٣	٢٨، ٣٢، ٦٠
سورة يوسف :		
وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون	١٠٦	٩٠
سورة الرعد :		
ولله يسجد من في السموات والأرض	١٥	٨٧ـ٨٨
عليه توكلت وإليه متاب	٣٠	٣٢
وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي	٣٠	٦٧
كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من	٣٠	٦٠
سورة الحجر :		
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان	٤٢	٨٧
وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق	٨٥	٧٦
سورة النحل :		
وما بكم من نعمة فمن الله	٥٣	٢٧
سورة الإسراء :		
سبحان الذي أسرى بعبده	١	٨٧
ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير	١١	٩١ـ٩٢
قل ادعوا الذين زعمتم من دونه	٥٦، ٥٧	٢٨
سورة مريم :		
فاعبده واصطبر لعبادته	٦٥	٣٧

kutub-pdf.net

واتخذوا من دون الله آلهة	٨١، ٨٢	٤٣، ٤٤
إن كل من في السموات والأرض إلا	٩٣	٨٧
سورة الأنبياء :		
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا	٢٢	٣٤
ولا يشفعون إلا لمن ارتضى	٢٨	٨٦
سورة الفرقان :		
وتوكل على الحي الذي لايموت وسبح	٥٨	٢٨، ٣٢
وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض	٦٣	٨٧
سورة الشعراء :		
وإذا مرضت فهو يشفين	٨٠	٧٨
سورة النمل :		
صنع الله الذي أتقن كل شيء	٨٨	٧٦
سورة القصص :		٦٦
رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي	١٦	٤٧
أولم نمكن لهم حرماً آمناً	٥٧	٢٨
ولا تدع مع الله إلهاً آخر	٨٨	٨٤
سورة الروم :		
وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم	٣٦	٨٤
سورة السجدة :		
الذي أحسن كل شيء خلقه	٧	٧٦
سورة سبأ :		
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله	٢٢، ٢٣	٢٨

kutub-pdf.net

سورة فاطر :		
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها	٢	٧١ ـ ٧٢
سورة يس :		
أفلم تكونوا تعقلون	٦٢	٧٨ ـ ٧٩
سورة الصافات :		
إنهم ألفوا آباءهم ضالين. فهم على	٦٩، ٧٠	٧٩
نعم العبد إنه أواب	٤٤	٨٧
واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب	٤٥	٨٧
إلا عبادك منهم المخلصين	٨٣	٨٧
سورة الزمر :		
قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني	٣٨	٢٨، ٧٢
سورة الزخرف :		
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم	٦٨	٨٧
سورة الشورى :		
عليه توكلت وإليه أنيب	١٠	٢٨
سورة محمد :		
فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك	١٩	٢٨
سورة الحجرات :		
حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم	٧	٩٤ ـ ٩٥
سورة الطور :		
أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون	٣٥	٨٠
سورة النجم :		
فأوحى إلى عبده ما أوحى	١٠	٨٧

kutub-pdf.net

إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأَنفس	٢٣	٦٥
سورة الرحمن :		
يسأله من في السموات والأرض	٢٩	٩٤
سورة الممتحنة :		
ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير	٤	٣٢، ٦٠
سورة التغابن :		
يسبح لله ما في السموات وما في الأرض	١	٢٨
سورة الطلاق :		
لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها	٧	٣٧
سورة الملك :		
أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم	٢٠، ٢١	٤٧
سورة نوح :		
رب اغفر لي ولوالدي	٢٨	٦٦
سورة الجن :		
وأنه لما قام عبدالله يدعوه	١٩	٨٧
سورة المزمل :		
وتبتل إليه تبتيلاً. رب المشرق	٨، ٩	٣٢
سورة الإنسان		
عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها	٦	٨٧
إنما نطعمكم لوجه الله	٩	٤٦
سورة المطففين :		
كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم إنهم	١٥، ١٦	٣٩

kutub-pdf.net

سورة الليل :
وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله ١٧، ٢١ ٤٦
سورة العلق :
اقرأ باسم ربك الذي خلق ١ ٥٦
واسجد واقترب ١٩ ٥٦
سورة البينة :
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين ٥ ٢٩
سورة قريش :
فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم ٣، ٤ ٤٧

kutub-pdf.net

kutub-pdf.net

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث	رقم الصحيفة
حرف الألف:	
أتدري ما حق الله على عباده؟	٣٣
أجرك على قدر نصبك	٣٦
أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى	٣٧
إن يوم المزيد وهو يوم الجمعة (أثر)	٣٨
إذا دخل أهل الجنة نادى مناد: يا أهل	٣٨
أحبب من شئت فإنك مفارقه (أثر)	٤١
اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك	٤٨
إن الله أنزل مائة كتاب (أثر)	٥٨
اللهم منك ولك	٦١
اللهم لك أسلمت وبك آمنت	٦١
اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت	٧٢
آمنت بالقدر خيره وشره	٧٥
وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان (أثر)	٧٨
حرف الباء :	
بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع	٥٤
حرف التاء :	
تعس عبدالدرهم تعس عبدالدينار	٥٠ ـ ٥١

kutub-pdf.net

حرف الدال :
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ٤٣
حرف القاف :
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ٥٤، ٥٨ ـ ٥٩
حرف الكاف :
كان النبي ﷺ يعلم من قص عليه أخوه رؤيا ٧٦
كان النبي ﷺ يعلمهم في خطبة الحاجة ٨٤
حرف اللام :
لم ينزل في التوراة ولا الإنجيل ٥٧ ـ ٥٨
لبيك وسعديك والخير بين يديك ٧٢
لو أنفقت مثل الأرض ذهباً لما قبله منك ٧٥
لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة ٩٢
حرف الميم :
مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير ٥٧
ما من خلق آدم إلى قيام الساعة ٨٥
حرف الهاء :
هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم ٤٧
حرف الياء :
يا حصين كم إلهاً تعبد، قال: سبعة ٩٠
يا ابن آدم خلقت كل شيء لك وخلقتك لي ٣٣

kutub-pdf.net

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصحيفة
مقدمة المحقق	٥
بداية النص المحقق	٢٧
مقدمة في حاجة الجميع إلى الله	٣٠
الوجه الأول	٣١
معنى الألوهية	٣١
الوجه الثاني	٣٢
حاجة العبد إلى عبادة الله	٣٤
الوجه الثالث	٤٠
الوجه الرابع	٤١
الوجه الخامس	٤٣
الوجه السادس	٤٤
الوجه السابع	٤٦
الوجه الثامن	٤٦
الوجه التاسع	٤٧
فصل	٤٨
فصل وهو مثل المقدمة لهذا الذي أمامه	٤٩
فصل في الفاتحة	٥٤
فصل في الفاتحة	٥٦

kutub-pdf.net

الإنسان بين العبادة والاستعانة ٦٢
قسم يغلب عليه التأله ٦٢
قسم يغلب عليه الاستعانة والتوكل ٦٣
قسم معرض عن الواجبين العبادة والاستعانة ٦٥
فصل (في معنى الحمد لله رب العالمين) ٦٦
فصل (إقرار الناس بتوحيد الربوبية أسبق وأكثر من الإقرار بتوحيد الإلهية) ٦٨
فصل (الإنسان وجميع المخلوقات عبيد لله) ٧٠
الإنسان ليس له من نفسه خير أصلاً ٧٢
الشر إما موجود وإما معدوم ٧٣
الشر لا ينسب إلى الله ٧٣
لم يخلق الله شيئاً إلا لحكمة ٧٧
الشر الذي سببه الوجود ٧٩
اختلاف الأصوليين في العلة الشرعية ٨١
فصل (العبد وكل مخلوق فقير إلى الله) ٨٦
أنواع سؤال العبد ربه ٩٠
فصل (العبد فقير إلى الله فيما يصلحه ويقصده) ٩٣
الفهارس ٩٧

kutub-pdf.net